
النساء المبشرات
بالجنة
منصور عبد الحكيم
المكتبة التوفيقية

النساء المبشرات بالجنة

فى ضوء الكتاب والسنة



تأليف

منصور عبد الحكيم



أمام الباب الأخضر - سيدنا الحسين
ت ٥٩٠٤١٧٥ - ٥٩٢٢٤١٠

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾[1]

(١) سورة القمر: ٥٤، ٥٥.

قال - ﷺ - :

«سيـدة نساء أهل الجنة بعـد مريم فاطمـة وخديجـة وامرأة فرعون آسية»[١] .

وقال أيضًا :

«حسبك من نساء العالمين: مريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وآسية امرأة فرعون»[٢] .

وقال أيضًا :

«لا يدخل النار ممن بايع تحت الشجرة»[٣] .

وقال تعالى :

﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾[٤] .

وقال - ﷺ - :

«دخلت الجنة فسمعت خشفة بين يدى فإذا بالغميصاء بنت ملحان»[٥] .

(١) رواه أحمد فى مسنده.

(٢) رواه الترمذى.

(٣) رواه مسلم.

(٤) سورة الفتح : ١٨ .

(٥) رواه البخارى.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمـــة

الحمـد لله الواحد الأحـد، الفرد الصمـد، الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفـواً أحد، نحمده ونسـتعينه ونستغـفره ونستهـديه، ونعوذ بالله من شرور أنفـسنا وسيئات أعـمالنا، سبحـانه وتعالى عمـا يصفون علواً كبـيراً، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة حق نسأله أن يحفظها لنا فى خزائن رحـمته، نلقاه بهـا غير خـزايا ولا نداما ولا مبدلين، وأشـهد أن محمداً عبده ورسوله وصفيه وخليله.

أما بعد،،،

فإن البشرى بالجنـة بشرى عظيمة، تحفز العبـد إلى السعى لمرضاة ربه، لكى يكون عبداً شكوراً، وإنه لفضل لا يدانيه فضل آخر، فلقد كانت الصفوة من الصـحابة من الرجـال، والصـحابيـات من النسـاء هم أحق الناس بتلك البـشرى العظيـمـة بالجنة ورضوان الله عليـهم، فـهم الذين رضى الله عنهم ورضـوا عنه، وهم كـثيـرون لا نحـصيـهم عـدداً فـالله عز وجل يـعرفـهم ويحصيهم، ونحن نقتبس من سيرتهم وخطاهم.

فهم القدوة والأسـوة الحسنة ونقدم إلى نسائنا بعضـًا من صور ومواقف نساء عرفن ربهم واتبعن تعاليمه وأوامـره اتبعن خطى أنبياء الله ورسله، نختار منهن بعـضهن وليس كلهن، فـهن المثل الأعلى لمن جـاءوا بعدهن من نسـاء الأمة، ونقدم فى هذا الكتاب شخصيات مختارة من نساء هذه الأمة فى عصر النبوة، وأخـريات من العصـور السابقـة التى ذكرهن الله عز وجـل فى قرآنه الكريم.

فالمبـشرات بالجنة المذكورات فى هذا الـكتاب بعض المبشـرات من نساء الإسلام والعصور السابقة إنما هن على سبيل المثال وليس الحصر.

ولقد ذكر الله سبحانه وتعالى على سبيل المثال بعض من نساء العالمين وهن من أهل الجنة، وأهل الإيمان وضرب الله بهما مثلاً للذين آمنوا قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١١﴾ وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ﴾[1].

وذكر رسول الله -ﷺ- نساءً ورجالاً مبشرين بالجنة، ونحن إذ نتعرض لسيرتهن العطرة نرجوا أن يقتدى بهن النساء والرجال من هذه الأمة حيث ضاعت القدوة الحسنة والمثل الأعلى، فى هذا الزمان الذى أصبحت القدوة للمرأة المسلمة هم أهل الفجور ومن يدعون أنهم أهل فن وثقافة، ونسأل الله أن يوفقنا إلى هذا العمل وأن يتقبله منا سبحانه وتعالى إنه نعم المولى ونعم النصير ونصلى ونسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

منصور عبد الحكيم محمد

المحامى

ت: ٣٢٨١٨٢١

القاهرة

كان الفراغ منه فى
٥ أبريل عام ١٩٩٩م

(١) سورة التحريم: ١١، ١٢.

الباب الأول

سيدات أهل الجنة

(١) خديجة بنت خويلد -رضي الله عنها-.

(٢) مريم بنت عمران -رضي الله عنها-.

(٣) آسية بنت مزاحم -رضي الله عنها-.

(٤) فاطمة بنت محمد -ﷺ- و-رضي الله عنها-.

قال -ﷺ-:

«حسبك من نساء العالمين أربع:

مريم بنت عمران، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد، وآسية امرأة فرعون»[1].

وقال أيضًا:

«سيدة نساء أهل الجنة بعد مريم فاطمة وخديجة وامرأة فرعون آسية»[2].

(١) رواه الترمذى.

(٢) رواه أحمد فى مسنده.

١

أم المؤمنين
خديجة بنت خويلد

- رضي الله عنها -

أول أمهات المؤمنين الزوجة المخلصة ذات الفراسة التى بشرها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ببيت لها فى الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب

١- أم المؤمنين خديجة بنت خويلد -رضي الله عنها-

مهما كُتب عنها فلم يستطع أحد أن يوفيها حقها، نعم لقد كتب أصحاب السير والتاريخ والمفسرون والكتاب على مر التاريخ الماضى والحاضر.. ولكن لم يواف أحدهم قدر هذه السيدة الفاضلة صاحبة الذكر الخالد، أم المؤمنين الأولى للمسلمين جميعًا إلى أن تقوم الساعة.

وما كتب عنها ما هى إلا محاولات متواضعة لبث شعاع من الضوء على سيرتها العطرة الزكية، وكلما كتبت عن سيرتها العطرة أشعر بالتقصير ولكننى أحاول كما حاول غيرى... والله الموفق والهادى إلى سواء السبيل..

فيا أيتها الأم الطاهرة التقية تقبلى عذرى إن قصرت فى سيرتك -رضى الله عنك وأرضاك-.

كانت ولادتها فى مكة المكرمة قبل عام الفيل بخمس عشرة سنة وهو العام الميلادى سنة ٥٥٦، فلقد ولد النبى -صلى الله عليه وسلم- فى عام الفيل الشهير، وكانت السيدة خديجة -رضي الله عنها- تكبر النبى -صلى الله عليه وسلم- بخمسة عشر عامًا.

كانت تسمى فى قريش بالطاهرة، ونسبها معروف فهى سيدة نساء قريش.

فهى -رضي الله عنها- بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قُصىّ بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب(١)، وقد مات الأب قبل حرب الفجار الشهيرة.

تزوجت قبل رسول الله -صلى الله عليه وسلم- مرتين.. وذكر بعض أهل السيرة أن زوجها الأول هو عتيق بن عائذ المخذومى(٢).

(١) السيرة النبوية لابن هشام، وأمها هى فاطمة بنت زائدة العامرية.

(٢) المصدر السابق.

وقد مات، وتزوجت بعده من أبى هالـة هند بن زرارة التميمى وولدت من زوجها عتيق ولد اسمه عبد العزى وقيل جـارية اسمها هند، وولدت من زوجها أبا هالة أولادًا أسـمتهم هند والطاهر وهالة، وذكر البـعض أن زوجها الأول هو أبى هالة والثانى هو عتيق بن عائذ[١]. ويقال أيضًا عتيق بن عابد.

ولم يذكر لنا التـاريخ الإنسانى على مراحله المختلفـة امرأة فاضلة وفت لزوجها وأدت واجـباتها تجاه زوجـها وربما مثلها -رضي الله عنها-، فـقد أعطت المال والجهد والحنان والحب والمشـورة الصادقة الصائبة لزوجـها رسول الله -ﷺ- كما سنعرف من خلال مـواقفها معه خلال فترات الدعوة والبـعثة حتى توفاها الله سبحانه وتعالى.

رؤيا.. وفراسة.. واختيار:

بعد وفـاة زوجها الثـانى وقد بلغت من العـمر الخامـسة والعـشرين لم تتزوج، وانشغلت بأمـر تجارتها، فكانت تستأجر التـجار من أهل مكة للعمل فى تجارتـها وتجعل لـهم أجرًا أو نسبة من الأرباح، وكـان لها خادم يـسمى «ميسرة» ترسله مع تجـارتها كى يراقب أمر التجارة والتجار ويأتيـها بالأخبار، وكثيرًا مـا يذكر لها «ميسرة» مـا يفعله التجار الذين تستأجرهـم لتجارتها من سرقة مالها.. ولكن لا حيلة لها فى ذلك.

وذات يوم عـادت السيـدة خديجـة -رضي الله عنها- إلى بيتـها بعـد أن طافت بالكعبة، ورأت فيما يرى النائم أن شمسًا عـظيمة تهبط من سماء مكة وتستقر فى بيتها، وتملؤه نورًا وبهاءً ويغمـر هذا النور كل البيوت من حولها، وتذهب خديجة إلى ابـن عمها ورقة بن نوفل.. وكـان قد اعتزل عـبادة الأوثان وقرأ التوراة والإنجيل والكتب السابقة وعـبد الله على دين إبراهيم وعيسى ابن مريم

(١) سيرة أعـلام النبلاء للذهبى جـ٣ «كانت خديجة أولاً تحت أبى هالة بن زرارة التـميمى ثم خلف عليها بعد عتيق بن عابد بن عـبد الله بن عمر بن مخزم ثم بعده النبى -ﷺ- وله خمس وعشرون سنة وكانت أسن منه بخمس عشرة سنة.

-عليهمـا السلام-، فهو من القلة القليلة الذين نبذوا عـبادة الأوثان، وقصت عليه خديجة رؤياها.. وأصغى ورقة إليها باهتمام ثم قال لها:

أبشـرى يـا ابنة العم لو صـدق الله رؤيـاك ليـدخلن نور الـنبـوة دارك وليفيضنّ منها نور خاتم النبيين.

وانصرفت خـديجة من عنده وهى مسـرورة سرورًا كبيرًا.. وتمنت لو تزوجت بذلك النبى الخاتم الذى أخبرها عنه ابن عمهـا ورقة وذكر لها صفاته وأوصافه، وأكد لها أن هذا هو زمانه.

وتمضى بها الأيام والسنوات.. وترامى إلى سمعها سيرة محمد بن عبد الله -ﷺ- الذى لقبه قومه بالصادق الأمين، لصدقه وأمانته، وكان على صلة قرابة لها، فـعمته صفيـة بنت عبد المطلب زوجة أخيهـا العوام بن خويلد أبو الزبير بن العوام.. فأرسلت خديجة -رضي الله عنها- إلى محمد -ﷺ- تعرض عليه أن يعمل لهـا فى تجارتها فى رحلة الشام، وعـرضت عليه أن تعطيه أكـثر ما تعطى التجار الذين كانت تستأجرهم، وقالت له:

إنه دعانى إلى البـعثة إليك مـا بلغنى من صدق حـديثك وعظم أمانتك وكرم أخلاقك، وأنا أعطيك ضعف ما أعطى رجلاً من قومك.

وذهب رسول الله -ﷺ- إلى عمه أبو طالب يستـشيره فى هذا العرض السخى ففرح أبو طالب وقال له من فوره:

إن هذا الرزق ساقه الله إليك.

وخرج رسول الله -ﷺ- فى تجارة خـديجة إلى الشام ومـعه غلامـهـا «ميسرة» يراقب الرحلة كما كان يفعل دومًا[١].

(١) ذكر صاحب كتـاب عيون الأثر فى فنون المغازى والشمائل والسير «ابن سـيد الناس» خبرًا رفعه إلى نفيسة بن منية مفاده أن أبا طالب لما بلغ النبى -ﷺ- الخامسة والعشرين عرض عليه أن يعرض على خديجة أن يتاجر لـها فى تجارتها إلى الشام، ورد عليه رسول الله -ﷺ-: فلعلهـا ترسل إلىّ فى ذلك، وعلمت خديجـة بما دار بين أبى طالب وابن أخـيه وكانت تعلم صدقه وأمانته فأرسلت إليه تعرض عليه العمل لها فى تجارتها.

وسارت القافلة بالتجارة حتى وصلت إلى الشام، وفى سوق بصرى جلس رسول الله -ﷺ- تحت ظل شجرة قريبة من صومعة عابد راهب يسمى «نسطورا»، ونظر الراهب إلى رسول الله -ﷺ- فى دهشة ورأى الغلام ميسرة بجواره فناداه وسأله:

من هذا الذى نزل تحت هذه الشجرة.

فقال له ميسرة:

رجل من قريش من أهل الحرم.

فقال له الراهب:

ما نزل تحت هذه الشجرة إلا نبى.. هل فى عينيه حمرة.

قال ميسرة: نعم لا تفارقه.

فصاح الراهب:

هو.. هو.. وهو آخر الأنبياء ويا ليتنى أدركه حين يؤمر بالخروج.

وأضمر ميسرة ما قاله الراهب فى نفسه وحفظه، وأثناء الرحلة رأى ميسرة عجبًا.. فقد رأى إذا مشى محمد -ﷺ- فى حر الشمس الحارقة إذ بسحابة تظلله وحده، وأراد ميسرة أن يتأكد من ذلك.. هل هذه السحابة تقصد محمدًا -ﷺ- أم أنها مصادفة؟! فمشى بجواره فإذا السحابة التى تظلله قد انصرفت عنه، وإذا انصرف عنه عادت السحابة تظلله.

وعادت التجارة إلى مكة رابحة أكثر مما ربحت من قبل.. وأخبر «ميسرة» السيدة خديجة بما رأى وسمع من أمر محمد -ﷺ-، وكيف كان أمينًا وصادقًا فى البيع والشراء.

وعادت السيدة خديجة بذاكرتها إلى الوراء وتذكرت رؤياها التى رأتها وقصتها على ابن عمها، وتذكرت أوصاف النبى الخاتم الذى حدثها عنه ورقة ابن نوفل وطابقته بما سمعت من غلامها «ميسرة» وتأكد لديها أن لمحمد بن عبد الله شأنًا عظيمًا.

الزواج المبارك:

لقد تأكد لدى السيدة خديجة -رضي الله عنها- أن محمدًا -ﷺ- ليس رجلاً عاديًا، واستطاعت بفراستها ورجاحة عقلها أن تدرك أن محمدًا هو نبى آخر الزمان الذى أخبرها عنه ابن عمها ورقة.. ولكن هناك عقبة تحول بينها وبين الارتباط به إنه فارق السن، فهو فى الخامسة والعشرين من عمره وهى فى الأربعين، ورأت أن ترسل إليه، فأرسلت صديقتها نفيسة بنت منية إليه، تسأله وتستطلع الأمر، بالفعل ذهبت إليه واسطة الخير ودار بينهما هذا الحوار الذى ذكرته كتب السيرة والحديث:

يا محمد ما يمنعك أن تتزوج؟

قال لها: ما بيدى ما أتزوج به.

قالت: فإن كفيت ذلك ودعيت إلى الجمال والمال والشرف والكفاءة.. ألا تجيب؟

قال: فمن هى؟

قالت: خديجة!

قال: وكيف لى بذلك؟

قالت: علىَّ.

قال: فأنا أفعل.

وذهبت نفيسة الخير إلى خديجة تخبرها ما دار بينها وبين محمد -ﷺ- وتبشرها بموافقته[1].

---

(١) ذكر ابن هشام فى السيرة النبوية أن السيدة خديجة -رضي الله عنها- قد بعثت إلى رسول الله -ﷺ- فقالت له:

يا ابن عم. إنى قد رغبت فيك لقرابتك ووسطتك -أى وسطك- **فى قومك وأمانتك،** وحسن خلقك، وصدق حديثك.

ثم عرضت عليه نفسها وكانت يومئذ أوسط نساء قريش **نسبًا، وأعظمهن شرفًا وأكثرهن** مالاً.

وذهب رسول الله -ﷺ- إلى أعمامه يستشيرهم فى أمر ذلك الزواج، فوافقوا جميعًا.

وأرسلت خديجة إلى عمها عمرو بن أسد كى يزوجها، وحضر إلى بيت خديجة -رضي الله عنها- رسول الله -ﷺ- وعمه أبو طالب وعمه الحمزة وصديقه أبو بكر بن أبى قحافة، وعمار بن ياسر، وحضر الزواج عمها عمرو ابن أسد وابن عمها ورقة بن نوفل وابن أخيها حكيم بن حزام، وبعض النسوة من أقاربهما.

وقام أبو طالب بن عبد المطلب خطيبًا خطبة الأملاك وهى خطبة الزواج -أى الإيجاب- فقال:

الحمد لله الذى جعلنا من ذرية إبراهيم، وزرع إسماعيل وضئضئ معد -أصل معد- وعنصر مضر، وجعلنا حضنة بيته، وسواس حرمه، وجعل لنا بيتًا محجوبًا وحرمًا آمنًا، وجعلنا الحكام على الناس، ثم إن ابن أخى هذا محمد بن عبد الله لا يوزن برجل إلا رجح عليه برًا وفضلاً وشرفًا وعقلاً ومجدًا ونبلاً، فإن كان فى المال قلَّ -قليل المال- فإن المال ظل زائل وأمر حائل، وعارية مسترجعة، ومحمد من عرفتم قرابته، وقد خطب خديجة بنت خويلد وبذل لها ما آجله وعاجله من مالى عشرين بكرة، وهو والله بعد هذا له نبأ عظيم وحظ جليل.

فقال عمها عمرو بن أسد:

اشهدوا علىَّ يا معشر قريش أنى قد أنكحت محمد بن عبد الله خديجة بنت خويلد.

وذبحت الإبل ابتهاجًا بهذا الزواج المبارك، وأطعم الناس وفرحوا، وكان أشدهم فرحًا العم أبا طالب الذى اطمأن على ابن أخيه الذى تركه جده عبد المطلب أمانة فى عنقه، فالآن وقد أصبح زوجًا لسيدة شريفة النسب ذات جمال ومال.

السعادة الزوجية فى بيت النبوة الأول:

جمع بيت النبوة الأول قبل البعثة وبعدها أفضل زوجين عرفهما التاريخ الإنسانى والاجتماعى والأسرى على إطلاقه وعصوره، وظللت بظلالها الوردى على البيت السعيد، محمد -ﷺ- لطيف المعشر عطوف، واسع الكرم ليس بالفظ ولا غليظ القلب، فاض حنانه على الجميع.

وتلك خديجة -رضي الله عنها- قد هيأت البيت بأسباب السعادة لزوجها، مطيعة له، لا تبخل عليه بعواطفها ومالها، فلقد أحبته حبًا عظيمًا ملك عليها كل مشاعرها، وكانت مظاهر هذا الحب العظيم واضح الدلالة على هذا البيت السعيد بمن فيه.

وكان فى البيت من أولاد خديجة -رضي الله عنها- من زيجاتها السابقة «هند» فنشأ فى حجر رسول الله -ﷺ-، وأيضًا «أم أيمن» بركة الحبشية جارية ومربية رسول الله -ﷺ-.

وكذلك زيد بن حارثة ذلك العبد المملوك لخديجة -رضي الله عنها- والذى اشتراه لها ابن أخيها حكيم بن حزام من سوق عكاظ وقد كان هذا العبد حرًا وخطفه تجار الرقيق وباعوه عبدًا.. ولقد وهبت خديجة هذا العبد لرسول الله -ﷺ-.. وعامله رسول الله -ﷺ- معاملة الابن.. حتى أن زيد رفض العودة مع أبيه وعمه حين جاءوا إليه ليحرروه من العبودية، فقد رأى زيدًا بفراسته أن لسيده محمد -ﷺ- شأن عظيم.. ولقد كافأه محمد -ﷺ- بأن تبناه وكان هذا أمرًا شائعًا فى الجاهلية وسمى زيد بن محمد حتى حرم الله التبنى بعد البعثة وبنزول القرآن.

الذرية من خديجة:

مرت الشهور على الزوجين فى بداية حياتهما الزوجية فى سعادة بالغة، وتوجت تلك السعادة بأول مولوده لهما وهى السيدة زينب، وبعد عامين من ولادتها رزقهما الله بطفلة أخرى هى السيدة رقية ثم تتابعت الذرية المباركة، أم

كلثوم وفـاطمة والذكور القـاسم وبه لُقب رسول الله -ﷺ- وذكر ابن هشام فى السيرة أن أولاده -ﷺ- من الذكور القاسم والطـيب والطاهر، وقد ماتوا جميعًا صغارًا، وقد حـزنت خديجة -رضي الله عنها- لموت ابنها القاسم وهو فى فترة الرضاعة، ودخل عليـها رسول الله -ﷺ- وهى تبكى فقـالت له: يا رسول الله -وقد رزق به بعد البعثة- دَرّت لبنيـه القاسم فلو كان عاش حتى يستكمل رضاعته. فقال لها: **«أن له مرضعًا فى الجنة تستكمل رضاعته»**.

فقالت: لو أعلم ذلك لهون علىّ.

فقال: **«إن شئت أسمعتك صوته فى الجنة»**.

فقالت: بل أصدق الله ورسوله(١).

ولم يبق من الذرية بعد البـعثة وفى حيـاة السيدة خديجـة سوى البنات الأربعة.

وهكذا عاشت الأسرة المحمدية فى سـعادة وهناء حتى بلغ سن الرسول -ﷺ- الأربعين من عمره.

خديجة والدعوة الإسلامية:

عرف رسول الله -ﷺ- ربه قبل البعثة، فلم يعـبد الأصنام مثل قومه، وإنما هداه الله إليـه بفطرته النقيـة إلى التوحـيد وعـبادة الله الواحـد الأحد، وحبب إليه فى بداية الأمر الخلوة، فكان يأتى غـار حراء بجبل حراء بمكة فى شهـر رمضان للعبـادة والاختلاء بنفـسه الأيام ذوات العدد، وقامت خـديجة بدورها بمساعـدة الزوج فى عبادته لله، فـقد وفرت له أسبـاب الراحة لخلوته وعبـادته، وكانت أول مراحل النبوة الرؤيا الـصادقة يراها كفلق الصـبح حتى بلغ سنه الأربعين، فى ليلة القدر.. فى شهر رمـضان.. ومحمد -ﷺ- فى

(١) السيرة النبوية لابن هشام. وقد قيل أن الطاهر والطيب لقبان للقاسم وأيضًا عبد الله. فكل تلك الأسـمـاء لمولـود واحد وولـد بعد البـعـثة والله أعـلم، وقد مـات قـبل أن يكمل الرضاعة.

غار حراء كعادته.. أشـرقت نور الرسالة على الأرض ونزل القرآن من اللوح المحفوظ إلى السمـاء الدنيا.. وكانت أول آيات القرآن نزولاً على رسـول الله -ﷺ- إذ جاءه جبريل -عليه السلام- فى هـيئة رجل ودخل عليه الغار وقال له:

اقرأ.

ويقول له رسول الله -ﷺ- وقد أخذته المفاجأة:

«ما أنا بقارئ».

فهو لا يعرف القراءة ولا الكتابة.

فأخذه الملك وضمه حتى بلغ منه الجهد ثم أرسله.

وقال له: اقرأ.

فقال له: **«ما أنا بقارئ»**.

فأخذه وضمه مرة أخرى وأرسله وكرر عليه القول:

اقرأ.

فأجابه -ﷺ-:

«ما أنا بقارئ».

فأخذه وضمه ثالثة وأرسله وقال له:

﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝٣ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾(١).

وما أن انصرف الملك مـن عنده حتى انطلق إلى بيته مـسرعًا يرتجف.. ويقول لمن حوله من أهل البيت:

(١) أول سـورة العلق، وقد ذكـر الحديث البـخارى فى صـحيـحه وغـيره من أهل الحـديث والسيرة. ونذكره هنا بتصرف يسير.

زملونى.. زملونى.

وجاءت خديجة إليه بالأغطية تضعها عليه، حتى ذهب عنه الروع والخوف، ثم قال لها:

«أى خديجة.. لقد خشيت على نفسى».

وبعد أن حكى لها ما حدث له فى الغار، قالت له:

«كلا... والله لا يخزيك الله أبدًا، إنك لتصل الرحم وتصدق الحديث، وتحمل الكلّ، وتكسب المعدوم وتقرى الضيف، وتعين على نوائب الحق».

هكذا كان رد خديجة -﵅-، وهكذا كان تأييدها ومؤازرتها وتصديقها وقوة بصيرتها.

وذهبت خديجة -﵅- مع رسول الله -ﷺ- إلى ابن عمها ورقة بن نوفل، وقالت له:

يا ابن عم.. اسمع من ابن أخيك.

قال ورقة لمحمد -ﷺ-:

يا ابن أخى.. ماذا ترى؟

فأخبره رسول الله -ﷺ- بما رأى وسمع من الملك فى الغار.

واهتز ورقة بن نوفل لما سمع، وسرت روح الإيمان الصافى فى جسده الهزيل الذى أرقده المرض وكبر السن، وانتفض بكل ما أوتى من قوة وهو يردد:

قدوس.. قدوس.. هذا الناموس الذى نزل على موسى -عليه السلام-، يا ليتنى فيها جذعًا، ليتنى أكون حيًا إذ يخرجك قومك.

فقال له رسول الله -ﷺ-:

«أو مخرجىَّ هم».

قال له ورقة:

نعم لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودى، وإن يدركنى يومك أنصرك نصرًا مؤزرًا.

وهدأت نفس رسول الله -ﷺ- بما سمع من ورقة بن نوفل، وانصرف مع زوجته إلى بيتهما، وقد انشرح صدريهما وطابت نفسيهما(١).

وهكذا كانت الوقفة الأولى لخديجة -﵅- مع رسول الله -ﷺ- ومع الدعوة فى بدايتها، وأول إشراقاتها تظهر مدى إيمان هذه المرأة العظيمة الوفية لزوجها وربها، ومدى فراستها وكمال عقلها، فقد كانت أعرف الناس بقدر زوجها، فهى تعرفه حق المعرفة، وقد صدق ورقة بن نوفل فراسة إحساسها، فكانت أول المؤمنين به وبرسالته على هذه الأرض حيث بعث وأمر بتبليغ الدعوة للخاصة والعامة والكافة.

وتتابع نزول القرآن على رسول الله -ﷺ- وأمر بتبليغ الدعوة والرسالة على الأقربين ثم الناس ﴿**يا أيها المدثر قم فأنذر**﴾.

وكانت أول الناس إسلامًا خديجة -﵅- وبناته كلهن.. فلقد أصبح دار خديجة بيتًا النبوة.

فراسة وكمال عقل وإيمان:

ذكر ابن هشام فى سيرته ونقله عنه الذهبى، قال:

قالت خديجة لرسول الله -ﷺ-:

---

(١) أخرجه الشيخان وفى الحديث أن التى ذهبت أولا إلى ورقة هى خديجة -﵅- وحكت له ما سمعت من رسول الله -ﷺ- فانفعل لذلك ورقة وقال لها:
قدوس.. قدوس.. لقد جاءه الناموس الأكبر الذى كان يأتى موسى وعيسى. وإنه لنبى هذه الأمة فقولى له فليثبت، وذهبت خديجة -﵅- بالبشرى إلى رسول الله -ﷺ- وأتت به لابن عمها ورقة وجرى الحديث الذى ذكرنا.

يا ابن عم؟ أتستطيع أن تخبرنى بصاحبك -تقصد جبريل عليه السلام- إذا جاءك؟

فلما جاءه قال: يا خديجة هذا جبريل؟

فقالت: اقعد على فخذى.

ففعل..

فقالت: هل تراه؟

قال: نعم.

فألقت خمارها وحسرت عن صدرها.

فقالت: هل تراه؟

قال: لا.

قالت: أبشر فإنه والله ملك وليس بشيطان[1].

هكذا كانت فراستها ورجاحة عقلها، وقوة إيمانها، فقد أرادت أن تتأكد أن الذى يأتى رسول الله -ﷺ- ملك وليس شيطانًا، فلو كان شيطانًا لظل مكانه حين ألقت خمارها، ولكنه انصرف.. فتأكد لديها أنه من الملائكة الكرام.

وظلت خديجة -رضي الله عنها- صابرة مجاهدة مع زوجها رسول الله -ﷺ-، وتابعته فى أمور العبادة فكانت أول من صلى وراءه اتباعًا لهديه وأوامر ربه، وهذا ما ذكرته كتب السيرة عن عفيف الكندى قال: كان العباس بن عبد المطلب لى صديقًا وكان يختلف إلى اليمن يشترى العطر، ويبيعه أيام الموسم، فبينما أنا عند العباس بمنى، فأتاه رجل مجتمع فتوضأ فأسبغ الوضوء، ثم قام فصلى، فخرجت امرأة فتوضأت، ثم قامت تصلى، ثم خرج غلام قد راهق، فتوضأ ثم قام إلى جنبه يصلى، فقلت: ويحك يا عباس، ما هذا الدين!!

(1) سير أعلام النبلاء للذهبى. والسيرة النبوية لابن هشام وذكره ابن الأثير فى أسد الغابة وفى إسناده انقطاع ورجاله ثقات.

قال: هذا دين محمد بن عبد الله ابن أخى، يزعم أن الله بعثه رسولاً، وهذا ابن أخى علىّ بن أبى طالب قد تابعه على دينه، وهذه امرأته خديجة تابعته على دينه.

قال عفيف الكندى بعد أن أسلم: يا ليتنى كنت رابعًا[1].

وازدادت عداوة قريش لرسول الله -ﷺ- ومن آمن معه، وعلى رأس أهل الكفر والعناد عمه أبو لهب وزوجته أم جميل وكان ابنيهما **قد تزوجا** ابنتى رسول الله -ﷺ- «رقية» و«أم كلثوم» -رضي الله عنهما-، وحين نزل **قوله تعالى** ﴿**تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ۝٤ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ**﴾[2].

أمرت أم جميل وزوجها ابنيهما بطلاق ابنتى محمد -ﷺ-، **فأما عتبة** ابن أبى لهب فقد فارق «رقية» دون أن يؤذيها أو يؤذى أبيها -ﷺ-، **وأما** عتيبة بن أبى لهب فقد طلق «أم كلثوم» ولكنه ذهب إلى **رسول الله** -ﷺ- وسبه وشتمه ومزق قميصه أمام القوم، فدعى عليه -ﷺ- فقال: **«اللهم ابعث عليه كلبًا من كلابك»**.

وقد استجاب الله لدعوة نبيه -ﷺ- ومزق عدو الله **عتيبة بن أبى لهب** أسد أثناء سفره مع أبيه وقومه.

وتزوجت رقية -رضي الله عنها- بالصحابى الجليل الذى كان من **أوائل المسلمين** السابقين عثمان بن عفان -رضي الله عنه-، وهاجرت رقية -رضي الله عنها- **مع زوجها فرارًا** بدينهما إلى الحبشة بعد أن أذن النبى -ﷺ- للمسلمين **بالهجرة إلى الحبشة** فى أحد عشر رجلاً وأربع نسوة من مسلمى قريش.

وتحملت السيدة خديجة -رضي الله عنها- **فراق ابنتها فى سبيل الله، ثم كان** التحول الخطير فى عداء قريش **للإسلام ونبى الإسلام، حين أرادت قتله**

(1) ذكره صاحب عيون الأثر بسنده وغيره.
(2) سورة المسد: ١-٥.

وراودت عمه أبا طالب على ذلك بأن تعطيه شابًا من شبابها مقابل رسول الله -ﷺ-، ورفض أبو طالب هذا العرض الأحمق، فاتفقوا على مقاطعة بنى هاشم والمسلمين، وتم كتابة وثيقة المقاطعة ووضعوها فى الكعبة.

واشتد الحصار الاقتصادى على بنى هاشم الذين اجتمعوا حول رسول الله -ﷺ- يدافعون عنه، بالرغم أنهم لم يؤمنوا كلهم برسالته ولكنها الحمية والعصبية القبلية.

واضطر بنو هاشم وزعيمهم أبو طالب عم رسول الله -ﷺ- بالدخول فى شعب أبى طالب، واستمر الحصار ثلاث سنوات تحملت فيهم خديجة مع زوجها والمسلمين وبنى هاشم الصعاب والجوع حتى ربطوا الحجارة على البطون.

جاء النصر من الله عز وجل بأن سلط القرضة على الصحيفة الظالمة فأكلت كل ما فيها من ظلم وجور وأبقت اسم الله، وأخبر رسول الله -ﷺ- عمه أبا طالب بأمر الصحيفة وذهب أبو طالب إلى زعماء الكفر بقريش وأخبرهم ما أخبره به ابن أخيه، وتأكد للجميع صدق ما قاله رسول الله -ﷺ- حين أخرجوا الصحيفة الظالمة ولم يجدوا فيها إلا اسم الله.

وخرج بنو هاشم مع رسول الله -ﷺ- والمسلمين، وقد نصرهم الله.

من فضائل خديجة -رضي الله عنها-:

قال -ﷺ-: «**حسبك من نساء العالمين: مريم ابنة عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وآسية امرأة فرعون**»[1].

وعن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله -ﷺ-: «**سيدة نساء أهل الجنة بعد مريم فاطمة وخديجة وامرأة فرعون آسية**»[2].

(١) رواه الترمذى من مناقب فضل خديجة -رضي الله عنها- وقال حديث صحيح عن أنس -رضي الله عنه-.
(٢) رواه أحمد فى مسنده بسنده وذكره الذهبى فى سير أعلام النبلاء.

وقد أرسل لها الله سبحانه وتعالى السلام بواسطة أمين الوحى جبريل وبشرها بالجنة، عن أبى زُرعة أنه سمع أبا هريرة -رضي الله عنه- يقول: أتى جبريل النبى -ﷺ- فقال: «هذه خديجة أتتك معها إناء فيه إدام وطعام أو شراب، فإذا هى أتتك فأقرأ عليها السلام من ربها ومنى وبشرها ببيت فى الجنة من قصب، لا صخب فيه ولا نصب»[1].

وعن عائشة أم المؤمنين -رضي الله عنها- قالت: كان رسول الله -ﷺ- إذا ذكر خديجة لم يكد يسأم من ثناء عليها واستغفار لها. فذكرها يومًا، فحملتنى الغيرة، فقلت: لقد عوضك الله من كبيرة فى السن. قال: راوى الحديث.. فرأيته غضب غضبًا شديدًا. أسقطت فى خلدى، وقلت فى نفسى: اللهم إن أذهبت غضب رسولك عنى لم أعد أذكرها بسوء، فلما رأى النبى -ﷺ- ما لقيت، قال: «**كيف قلت؟ والله لقد آمنت بى إذ كذبنى الناس، وآوتنى إذ رفضنى الناس، ورزقت منها الولد وحرمته منى**».

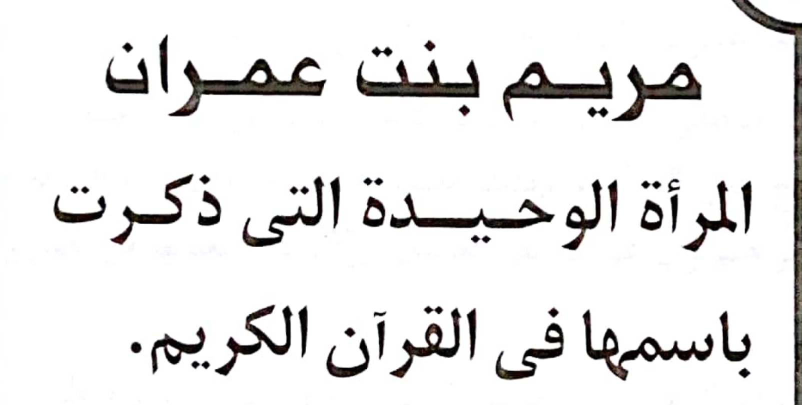
قالت: فغدا وراح علىَّ بها شهرًا[2].

ومن كرامتها عليه -ﷺ- وحبه لها أنه لم يتزوج عليها فى حياتها ولا قبلها ولا تسرى فى حياتها ورزق منها أولاده كلهم عدا إبراهيم الذى رزق به من جاريته مارية القبطية، وحزن على موتها حزنًا شديدًا.

وفاتها -رضي الله عنها-:

بعد خروج بنى هاشم من حصار قريش ومن شايعهم، كان المرض قد اشتد بالسيدة خديجة -رضي الله عنها-، واقترب لقاء الوفاء، ولم تلبث إلا قليلاً ولبت نداء ربها راضية مرضية مبشرة بالجنة من ربها، وقيل توفيت فى رمضان عن خمس وستين سنة قبل الهجرة بثلاث سنوات، ومات بعدها أبو طالب بثلاثة أيام[3] ودفنت بالحجون بمكة المكرمة -رضي الله عنها- وأرضاها.

(١) رواه البخارى ومسلم فى صحيحيهما.
(٢) رواه أحمد فى مسنده وإسناده حسن.
(٣) سير أعلام النبلاء للذهبى. جـ٣.


٢
مريـم بنت عمـران
المرأة الوحيـــدة التى ذكـرت
باسمها فى القرآن الكريم.

٢- مريم بنت عمران

ضرب الله بها مثلاً للذين آمنوا.. وجعلها الله وابنها آية للعالمين.. إنها مريم بنت عمران بن باشم بن آمون بن ميشا بن حزقيا بن احريق بن موثم بن عزازيا بن أمصيا بن ياوس بن احريهو بن يازم بن يهفاشاط بن إيشا بن إيان ابن رحبعان بن داود[(١)].

وأمها هي حنة بنت فاقود بن قبيل، من العابدات وخالتها امرأة نبي الله زكريا، وأبوها عمران كان صاحب صلاة بني إسرائيل.

ولقد اصطفى الله آل عمران كما اصطفى آدم -عليه السلام- وآل إبراهيم ونوح على العالمين، وذلك مصداقًا لقوله تعالى: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ** ﴾[(٢)].

وكانت امرأة عمران أم مريم لا تنجب، ورأت ذات يوم طائرًا يزق فرخًا -أي يفقس له- فاشتهت الولد، ونذرت لله إن رزقها ولدًا أن تجعله خادمًا لبيت المقدس. وقد سجل القرآن الكريم هذا الدعاء وذلك النذر قال تعالى: ﴿ **إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ**

---

(١) ذكر هذا النسب ابن إسحاق ونقله عنه ابن كثير في القصص وذكر أيضًا نسبها نقلاً عن أبي القاسم ابن عساكر: مريم بنت عمران بن ماثان بن العازر بن اليود بن أختر بن صادوق ابن عبازوز بن الياقيم بن أبيود بن شالتال بن يوحينا بن برشا بن آمون بن ميشا ابن حزقيا بن إحاز بن موثام بن عزريا بن يورام بن يوشافاط بن إيشا بن ايبا بن رصعام ابن سليمان ابن داود -عليه السلام-. ثم قال ولا خلاف أنها من سلالة داود -عليه السلام-.

(٢) سورة آل عمران: ٣٣، ٣٤.

﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (١).

واستجاب الله لدعاء الأم الصالحة، وأعاذ بنتها ومولودها وذريته من الشيطان الرجيم، فما من مولود يولد إلا ويمسه الشيطان فيبكى لذلك، وهذا أمر نراه حين يأتى إلينا طفل جديد، مولود يخرج من رحم أمه فيتسهل صارخًا باكيًا ولا يدرى من حوله لماذا هذا البكاء وهذا الصراخ، والسبب فى ذلك يوضحه لنا رسول الله -ﷺ- فيما رواه أحمد فى مسنده عن أبى هريرة أن النبى -ﷺ- قال: «**ما من مولود إلا والشيطان يمسه حين يولد فيستهل صارخًا من مسة الشيطان إلا مريم وابنها**» ثم يقول أبو هريرة: واقرأوا إن شئتم ﴿**وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ**﴾ (٢).

ولكن الذى كانت ترجوه ولدًا كى يخدم بيت المقدس.. فحين رأت أنها أنثى قالت: ﴿**رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَىٰ**﴾ وذلك لخدمة بيت المقدس، فقد كانوا ينذرون لبيت المقدس خادمًا من أولادهم الذكور، لكن امرأة عمران وهبت لله ما فى بطنها، فحق عليها الوفاء بالنذر، سواء كان ذكرًا أم أنثى.

وذكر كثير من المفسرين وأهل السير أن امرأة عمران حين وضعت مريم -عليها السلام- وضعتها فى خرقة ثم خرجت بها إلى المسجد فسلمتها إلى

(١) سورة آل عمران: ٣٥-٣٧.
(٢) وقال أحمد أيضًا: حدثنا إسماعيل بن عمر. حدثنا ابن أبى ذؤيب عن عجلان مولى المشمعل عن النبى -ﷺ- قال: «كل مولود من بنى آدم يمسه الشيطان بأصبعه إلا مريم بنت عمران وابنها عيسى عليهما السلام» والحديث رواه مسلم أيضًا فى صحيحه. وفى رواية أخرى لأحمد فى مسنده: «ما من مولود إلا وقد عصره الشيطان عصرة أو عصرتين إلا عيسى ابن مريم ومريم» ثم قرأ رسول الله -ﷺ-: ﴿**وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ**﴾ وكذلك رواه ابن إسحاق وأحمد أيضًا فى مسنده وله طرق أخرى عديدة.

العباد الذين يقيمون به، وكانت مريم ابنة أمامهم وصاحب صلاتهم فتنازعوا فيها وذلك بعد اكتمال رضاعتها.

وكان زوج الخالة النبى زكريا طلب كفالتها.. ولكنهم احتكموا إلى القرعة، وخرجت القرعة لصالح نبى الله زكريا فكفلها.. قال تعالى: ﴿**ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ**﴾ (١).

وبعد أن ألقى كل من أراد كفالة مريم -عليها السلام- من الأحبار والعباد أقلامهم وكل واحد منهم له قلمٌ معروفٌ به، ثم وضعوه فى مكان وأمروا غلامًا صغيرًا لم يبلغ الحلم، فأخرج أحد الأقلام، فكان قلم زكريا -عليه السلام- ثم أعادوا القرعة مرة أخرى وألقوا الأقلام فى النهر، فإذا جرى أحد الأقلام عكس التيار كان هو المقصود لكفالة مريم، وجاء قلم زكريا -عليه السلام- عكس التيار، وطلبوا إجراء القرعة مرة ثالثة على أن يكون القلم الذى يجرى مع تيار الماء هو الذى يكفل حاجة مريم فجرت الأقلام كلها عكس التيار إلا قلم زكريا -عليه السلام-.

وهكذا كان حكم الله وأمره ﴿**وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا**﴾ واتخذ لها زكريا -عليه السلام- مكانًا من المسجد لا يدخله سواها، ونشأت مريم -عليها السلام- فى بيت المقدس فى عبادة الله ورعايته ﴿**فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا**﴾ (٢).

وكلما دخل عليها زكريا المحراب التى تعبد فيه ربها وجد عندها الرزق الوفير، بل الأعجب من ذلك **أن يرى فاكهة وطعامًا فى غير أوانه، فيرى** فاكهة الشتاء **فى فصل الصيف ويجد فاكهة وطعام الصيف فى فصل الشتاء**.. وتعجب نبى **الله زكريا -عليه السلام- من الذى يأتى إليها بالطعام غيره؟**

(١) سورة آل عمران: ٤٤.
(٢) سورة آل عمران: ٣٧.

ومن المؤكد لديه أنه لا يدخل عليها أحد غيره، فهو الذى يكفلها ويأتى إليها بطعامها وشرابها وما تحتاجه من لوازم المعيشة، وتوجه إليها بالسؤال:

يا مريم.. من أين لك هذا؟

وكان الرد مفعمًا له مقنعًا مختصرًا.. أدرك على فوره أنه لا عجب مما يرى.

قالت: هو من عند الله، إن الله يرزق من يشاء بغير حساب.

عند ذلك طمع زكريا فى رحمة ربه وقال يا من يرزق مريم التمر فى غير أوانه هب لى ولدًا فى غير أوانه.

فقد كان زكريا قد بلغ من الكبر عتيًا، وامرأته عاقرًا، وعندما رأى فضل الله ونعمته على مريم -عليها السلام- وكيف يرزقها بالتمر فى غير أوانه طمع أن يرزق بالولد فى غير أوانه أيضًا.

قال تعالى: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ (٣٧) هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ (٣٨) فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ (٣٩) قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَٰلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ (٤٠) قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا وَاذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾[1].

واستجاب الله تعالى لدعاء زكريا -عليه السلام- وبشره بيحيى -عليه السلام-، من امرأته العاقر بعد أن أصلحها له، فكان يحيى بن زكريا نبيًا فى زمان عيسى ابن مريم -عليهما السلام-.

(١) سورة آل عمران: ٣٧-٤١.

هل مريم -عليها السلام- نبية من الأنبياء؟

ذهب ابن حزم الظاهرى أن مريم -عليها السلام- وسارة زوجة إبراهيم -عليهما السلام- وأم موسى -عليهما السلام- من الأنبياء محتجًا بكلام الملائكة إليهم بوحى من الله!! لقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ (٤٢) يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾[1].

وذهب جمهور العلماء والمفسرون وأهل السنة والجماعة أن النبوة مختصة بالرجال دون النساء وليس فى النساء أنبياء وأن مريم -عليها السلام- صديقة، واستدلوا بقوله تعالى: ﴿مَّا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ﴾[2].

وقال -ﷺ-: «خير نساء العالمين أربع: مريم بنت عمران، وآسية امرأة فرعون، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد رسول الله»[3].

وعلى هذا فإن مريم -عليها السلام- من الصديقات والله أعلم.

اصطفاء الله لمريم -عليها السلام-:

قامت مريم -عليها السلام- بخدمة بيت المقدس، وعبادة الله سبحانه وتعالى ليلاً ونهارًا حتى صارت مثلاً فى العبادة فى بنى إسرائيل.

وظلت على نسكها وعبادتها وورعها وتقواها لله حتى جاءتها الملائكة من رب العالمين تبشرها باصطفاء الله لها وقبل ذلك قد طهرها، وأمرتها أن تكثر من السجود والركوع شكرًا لله على ذلك.

(١) سورة آل عمران: ٤٢، ٤٣.
(٢) سورة المائدة: ٧٥.
(٣) رواه الترمذى وصححه، وابن عساكر، ورواه أحمد فى مسنده بسنده واللفظ هنا للترمذى.

﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ (٤٢) يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾(١).

اختبار الله لمريم كى تكون أمًا لعيسى -عليهما السلام-:

ثم جاءت الملائكة لمريم -عليهما السلام- بالبشرى أن تكون آية للناس بأن ترزق الولد دون أن يمسها رجل -أى من غير أب-، ويكون هذا الولد نبيًّا ورسولاً، ومن الصالحين، وتلك معجزة فى قوانين البشر، فكيف يكون لها غلام من غير أن يمسها بشر كان هذا سؤال مريم -عليها السلام- لملائكة البشرى وكانت الإجابة: كذلك الله يخلق ما يشاء إذا قضى أمرًا فإنما يقول له كن فيكون.

فأمر الله سبحانه وتعالى بين الكاف والنون، وقد خلق الله آدم -عليه السلام- من قبل بدون أب ولا أم وخلق حواء من ضلع آدم دون أم لها، وخلق جميع البشر من ذرية آدم من أب وأم، وهكذا تكتمل الآية أن يخلق عيسى من أم بدون أب.

وعلمت مريم -عليها السلام- أن ولادتها لغلام بدون أب سيكون لها فيه محنة عظيمة، لكنها سلمت الأمر لله.

وقال ابن كثير فى قصصه أن مريم إنما تخرج من المسجد فى زمن حيضها أو لحاجة ضرورية لابد منها من استقاء أو تحصيل غذاء، فبينما هى يومًا قد خرجت لبعض شئونها وانفردت وحدها شرقى المسجد الأقصى إذ بعث الله إليها الروح الأمين جبريل -عليه السلام-، فتمثل لها بشرًا سويًا فلما رأته قالت إنى أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيًا، أى إن كنت تتقى الله -عز وجل- وبذا يرد قول من زعم أنه كان فى بنى إسرائيل رجل فاسق مشهور بالفسق اسمه «تقى» فإن هذا قول باطل بلا دليل وهو من أسخف الأقوال.

وخاطبها الملك قائلاً: إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلامًا زكيًا.

(١) سورة آل عمران: ٤٢، ٤٣.

أى لا تظنينى بشرًا، وتعجبت مريم -عليها السلام- أن يكون لها غلام وليست ذات زوج أو بغىٌّ تفعل الفاحشة فقالت: رب أنى يكون لى ولد ولم يمسسنى بشرٌ ولم أك بغيا.

قال جبريل -عليه السلام-: كذلك قال ربك هو علىَّ هين ولنجعله آية للناس ورحمة منا وكان أمرًا مقضيًا.

قال ابن كثير:

وذكر غير واحد من السلف أن جبريل نفخ فى درعها فنزلت النفخة إلى فرجها فحملت من فورها كما تحمل المرأة عند جماع بعلها، ومن قال نفخ فى فمها أو أن الذى كان يخاطبها هو الروح الذى ولج فيها من فمها فقوله خلاف ما يفهم من سياق هذه القصة فى محالّه من القرآن، فإن هذا السياق يدل على أن الذى أُرسِل إليها هو ملك من الملائكة وهو جبريل -عليه السلام-، وأنه إنما نفخ فيها ولم يواجه الملك الفرج بل نفخ فى جيبها فنزلت النفخة إلى فرجها فانسلكت فيه كما قال تعالى: ﴿فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا﴾(١). فدل على أن النفخة ولجت فيه لا فى فمها. كما رواه السدى بإسناده عن بعض الصحابة.

وجاء القصة فى كلام الله أكثر وضوحًا فى أكثر من موضع.. قال تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا (١٦) فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا (١٧) قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا (١٨) قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لأَهَبَ لَكِ غُلامًا زَكِيًّا (١٩) قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا (٢٠) قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا (٢١) فَحَمَلَتْهُ فَانتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا (٢٢) فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا (٢٣) فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَا أَلاَّ تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا

(١) سورة الأنبياء: ٩١.

(٢٤) وهزي إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا (٢٥) فكلي واشربي وقري عينا فإما ترين من البشر أحدا فقولي إني نذرت للرحمن صوما فلن أكلم اليوم إنسيا (٢٦) فأتت به قومها تحمله قالوا يا مريم لقد جئت شيئا فريا (٢٧) يا أخت هارون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغيا (٢٨) فأشارت إليه قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا (٢٩) قال إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا (٣٠) وجعلني مباركا أين ما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيا (٣١) وبرا بوالدتي ولم يجعلني جبارا شقيا (٣٢) والسلام علي يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا (٣٣) ذلك عيسى ابن مريم قول الحق الذي فيه يمترون (٣٤) ما كان لله أن يتخذ من ولد سبحانه إذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون (٣٥) وإن الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم (٣٦) فاختلف الأحزاب من بينهم فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم ﴾(١).

وذكر غير واحد من السلف، أنها -أى مريم- لما ظهرت عليها مخايل الحمل كان أول من فطن إلى ذلك، رجل من عباد بنى إسرائيل يقال له يوسف بن يعقوب النجار، وكان ابن خالها فجعل يتعجب من ذلك عجبًا شديدًا، وذلك لما يعلم من ديانتها ونزاهتها، وعبادتها وهو مع ذلك يراها حبلى وليس لها زوج، فعرض لها ذات يوم فى الكلام فقال:

يا مريم هل يكون الزرع من غير بذر.

قالت: نعم فمن خلق الزرع الأول.

فقال يوسف النجار: فهل يكون ولد من غير ذكر.

قالت: نعم، الله خلق آدم من غير ذكر ولا أنثى.

قال لها: فأخبرينى خبرك.

قالت له: إن الله بشرنى بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم وجيهًا

(١) سورة مريم: ١٦-٣٧.

فى الدنيا والآخرة ومن المقربين. ويكلم الناس فى المهد وكهلاً ومن الصالحين(١).

وذكر السدى بإسناده عن الصحابة أن مريم -عليها السلام- دخلت يومًا على أختها فقالت لها أختها: شعرت أنى حبلى؟ فقالت مريم: وشعرت أيضًا أنى حبلى؟ فاعتنقتها وقالت لها أم يحيى: إنى أرى ما فى بطنى يسجد لما فى بطنك وذلك قوله: ﴿مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ﴾ ومعنى السجود ها هنا الخضوع والتعليم، كالسجود عند المواجهة للسلام كما كان فى شرع من قبلنا. وكما أمر الله الملائكة بالسجود لآدم(٢).

وقال أبو القاسم: قال مالك: بلغنى أن عيسى ابن مريم ويحيى بن زكريا ابنا خالة وكان حملهما جميعًا معًا، فبلغنى أن أم يحيى قالت لمريم: إنى أرى ما فى بطنى يسجد لما فى بطنك. قال مالك: أرى ذلك لتفضيل عيسى -عليه السلام-، لأن الله تعالى جعله يحيى الموتى ويبرئ الأكمه والأبرص(٣).

وذكر ابن كثير أنها حملت به تسعة أشهر مثل النساء، وعن ابن عباس وعكرمة أنها حملت به ثمانية أشهر، وفى رواية لابن عباس -ﷺ- أنها حملت به فوضعته. قال بعضهم: حملت به تسع ساعات واستأنسوا لقوله تعالى: ﴿فَحَمَلَتْهُ فَانتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا (٢٢) فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ النَّخْلَةِ﴾(٤) والله أعلم.

وحين جاءها المخاض واشتدت بها آلام الوضع لجأت إلى مكان بعيد إلى جذع نخلة لا تثمر.. وقالت: ﴿يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا

(١) قصص الأنبياء لابن كثير وقال ويروى مثل هذا عن زكريا -عليه السلام- أنه سألها فأجابته بمثل هذا والله أعلم.
(٢) قصص الأنبياء لابن كثير.
(٣) المصدر السابق. وقال رواه ابن أبى حاتم وروى عن مجاهد قال: قالت مريم: كنت إذا خلوت حدثنى وكلمنى وإذا كنت بين الناس سبح فى بطنى.
(٤) سورة مريم: ٢٢، ٢٣.

مَنسِيًّا﴾(١). وذلك لأنها تعلم أن الناس سوف يتهمونها فى شرفها ولا يصدقونها حين تأتيهم بغلام من غير أب، وهى عندهم من العابدات المجاورات للمسجد، ومن بيت النبوة، قال ابن كثير وفى هذا دليل على جواز تمنى الموت عند الفتن(٢).

وجاءها النداء.. وهو نداء الملك جبريل -عليه السلام- يطمئنها.. ﴿أَلاَّ تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾(٣) أى النهر وهو ما ذهب إليه الجمهور ثم أمرها ﴿وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا (٢٥) فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا﴾(٤).

فكان الطعام والشراب تكريمًا من الله عز وجل لها، لأن النخلة كانت جزعًا يابسًا، وقيل كانت نخلة مثمرة والله أعلم، وعلى العموم فلن يتساقط التمر بهز النخلة إلا بإذن الله سبحانه وتعالى.

ثم عقب الملك جبريل بأن قال لها مطمئنًا إياها ﴿فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا﴾(٥).

أى لا تتكلمى مع أحد من قومك إلا بالإشارة، معللة ذلك بأنك صائمة، وكان الصوم عندهم هو الامتناع عن الطعام والشراب والكلام طول اليوم.

قال تعالى: ﴿فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا (٢٧) يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾(٦).

---

(١) سورة مريم: ٢٣.

(٢) وكان مكان الميلاد بيت لحم قريبًا من بيت المقدس، وقد زعم وهب بن منبه أنه ولد بمصر وهذا لا يصح والذى أجمع عليه المفسرون والمؤرخون ما ذكرناه.

(٣) سورة مريم: ٢٤.

(٤) سورة مريم: ٢٥، ٢٦.

(٥) سورة مريم: ٢٦.

(٦) سورة مريم: ٢٧، ٢٨.

وبعد الولادة حدث ما توقعته مريم -عليها السلام- فقد اعترضها قومها.. واتهموها بالفعل الفاحش المنكر، وقولهم يا أخت هارون أى نسبة إلى النبى هارون الذى ينتهى نسبها إليه كما جاء فى رواية الترمذى ومسلم والنسائى حين سئل على ذلك رسول الله -ﷺ- فقال: «**ألا أخبرتهم أنهم كانوا يتسمون بأسماء صالحيهم وأنبيائهم**».

وذكر قتادة وغيره أنهم كانوا يكثرون التسمية بهارون حتى قيل إنه حضر بعض جنائزهم بشر كثير منهم ممن يسمى بهارون أربعون ألفًا والله أعلم.

وقال ابن كثير المقصود أنهم قالوا: «يا أخت هارون».

ودل الحديث على أنها كان لها أخ نسبى اسمه هارون وكان مشهورًا بالدين والصلاح والخير ولهذا قالوا: ﴿مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾.

أى لست من بيت هذا شيمتهم ولا أخوك ولا أمك ولا أبوك، فاتهموها بالفاحشة العظمى ورموها بالداهية الدهياء.

وذكر ابن جرير الطبرى فى تاريخه أنهم اتهموا مريم -عليها السلام- بالزنا مع زكريا -عليه السلام- وأرادوا قتله ففر منهم فلحقوه وقابله إبليس فى صورة إنسان ودله على الشجرة أن يدعوا الله فيدخل فيها ففعل فدخلها وأمسك إبليس بطرف ثوبه، ودل القوم عليه فنشروا الشجرة وبها زكريا. واتهمها البعض بالزنا بابن خالها يوسف بنى يعقوب النجار، وهكذا يقول اليهود فى حقها حتى الآن.

وعندما قال لها قومها ما قالوه لها أشارت إلى عيسى -عليه السلام- وهو فى يدها وليدًا، فقالوا لها كيف نكلم من كان فى المهد صبيًا.

وهنا حدثت المعجزة العظمى.. لقد تكلم الصبى فى المهد.. تكلم عيسى ابن مريم بلسان الصدق.. يعلن لهم ولمن يأتى من بعدهم:

﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا (٢٩) قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ

آتاني الكتاب وجعلني نبيا (٣٠) وجعلني مباركا أين ما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيا (٣١) وبرا بوالدتي ولم يجعلني جبارا شقيا (٣٢) والسلام علي يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا ﴾[١].

ثم عقب الله سبحانه وتعالى بقوله: ﴿ ذلك عيسى ابن مريم قول الحق الذي فيه يمترون (٣٤) ما كان لله أن يتخذ من ولد سبحانه إذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون (٣٥) وإن الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم (٣٦) فاختلف الأحزاب من بينهم فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم (٣٧) أسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين (٣٨) وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضي الأمر وهم في غفلة وهم لا يؤمنون ﴾[٢].

فكان أول كلامه -عليه السلام- ﴿إني عبد الله﴾ ردًا على من زعموا أنه هو الله أو أنه ابن الله، تعالى الله عما يقولون علوًا كبيرًا.

فإن مثل عيسى عند الله كمثل آدم -عليه السلام- خلق من تراب فلو أن الله قد جعل عيسى ابن مريم ابنًا له لكان من الأولى أن يكون ذلك لآدم الذى خلقه بلا أب ولا أم مثلاً ﴿ ذلك نتلوه عليك من الآيات والذكر الحكيم (٥٨) إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون (٥٩) الحق من ربك فلا تكن من الممترين (٦٠) فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين (٦١) إن هذا لهو القصص الحق وما من إله إلا الله وإن الله لهو العزيز الحكيم (٦٢) فإن تولوا فإن الله عليم بالمفسدين ﴾[٣].

واختلف الأحزاب فى أمر عيسى ابن مريم منهم من قال إنه ولد زنا وهم اليهود ومنهم من قال إنه هو الله أو ابن الله أو الاثنين معًا وهم النصارى الذين جاءوا من بعده، وقال المؤمنون إنه عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى

(١) سورة مريم: ٢٩-٣٣.
(٢) سورة مريم: ٣٤-٣٩.
(٣) سورة آل عمران: ٥٨-٦٣.

مريم وروح منه وهؤلاء هم الموحدون الناجون من عذاب الله يوم القيامة أما غيرهم فهم أهل الشقاء والنار هم الكفار الذي قال الله فيهم: ﴿ لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم قل فمن يملك من الله شيئا إن أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه ومن في الأرض جميعا ولله ملك السموات والأرض وما بينهما يخلق ما يشاء والله على كل شيء قدير ﴾[١].

وأيضًا الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة: ﴿ لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة وما من إله إلا إله واحد وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم (٧٣) أفلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم (٧٤) ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر أنى يؤفكون ﴾[٢].

قال -ﷺ-: «**من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدًا عبده ورسوله وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه والجنة حق والنار حق، أدخله الله الجنة على ما كان من العمل**» رواه مسلم فى صحيحه.

وكما قالت النصارى أن المسيح ابن الله قالت أيضًا اليهود «عزير» ابن الله قال تعالى:

﴿ وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون ﴾[٣].

تعالى الله عما يقولون علوًا كبيرًا[٤].

(١) سورة المائدة: ١٧.
(٢) سورة المائدة: ٧٣-٧٥.
(٣) سورة التوبة: ٣٠.
(٤) روى البخارى فى صحيحه أن رسول الله -ﷺ- قال: «**يقول الله تعالى: شتمنى ابن آدم ولم يكن له ذلك، يزعم أن لى ولدًا وأنا الأحد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن لى كفوًا أحد**» وأيضًا قال -ﷺ-: «**لا أحد أصبر على أذى سمعه من الله إنهم يجعلون له ولدًا وهو يرزقهم ويعافيهم**» رواه البخارى.

رحلة مريم وابنها إلى مصر:

وخشيت مـريم -عليها السلام- على ابنها بـعد أن تكلم فى المهد وذاع ذلك بين الناس، وقال ابن عباس -رضي الله عنهما-(١).

وكان عـيسى يرى العجـائب فى صباه إلهـامًا من الله، ففـشا ذلك فى اليهود وترعرع عيسى، فهمت به بنو إسرائيل، فخافت عليه أمه، فأوحى الله إلى أمه أن تنطلق به إلى أرض مصـر، فذلك قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾(٢).

وقال ابن كـثير واخـتلف المفسرون والسلف فى المـراد بهذه الربوة التى ذكرها الله.. فقال البعض أنها المكان الـذى ولدت فيه مريم ابنها بالشام وهى نخلة ببـيت المقدس، وهو قـول جمهـور السلف وعن ابن عـباس أنهـا أنهار دمشق وقيل بمصر كما زعمه أهل الكتاب ومن تلقاه عنهم والله أعلم(٣).

وعاشت مريم وابـنها -عليهما السـلام- ومعهمـا ابن الخال يوسف بن يعقـوب النجار بمصر حـتى أتم عيسى -عليـه السلام- اثنتى عـشرة سنة من عمره.

ذكر الطبـرى فى تاريخه أن عـيسى ابن مـريم حين ولد نكست الأصنام على رؤوسها، وفـزعت الشياطين لذلك حتى جاؤوا إبـليس وهو على عرشه وقد خـلا ساعات من النهـار، وأخبروه بما حـدث فى الأرض، وطار إبليس ساعـات بعد أن علم أن شيـاطينه لم تستطع أن تأتيـه بالخبر اليـقين، ثم جاء إبليس بعد أن مـر بالمكان الذى ولد فيـه عيسى ابن مـريم ورآه إبليس وحوله الملائكة فأدرك سبب ما حدث ورجع إلى أصحابه وأخبرهم(٤).

وفى مصر ظهرت على عيسى -عليه السلام- كرامات وبشارات النبوة،

(١) قصص الأنبياء بتصرف.
(٢) سورة المؤمنون: ٥٠.
(٣) قصص الأنبياء بتصرف.
(٤) تاريخ الطبرى بتصرف.

وكانت مريم -عليها السـلام- نازلة فى دار دهقان من أهل مصر، وسرقت له خزانة وكان لا يسكن الدار إلا المساكين، وحزنت مريم لما أصاب الدهقان ولما رأى عيسى -عليه السلام- حزن أمه لما أصاب مضيفهم قال لها: يا أمه أتحبين أن أدله على ماله؟ قالت: نعم يا بنى. قال قـولى له يجمع لى مساكين داره، فقالت مريم للدهقان ذلك.

فجمع له مسـاكين داره، فلما اجتمعوا عمـد إلى رجلين أحدهما أعمى والآخر مـقعد، فـحمل المقعـد على عاتق الأعمى. ثم قـال له: قم به. قال الأعمى: أنا أضعف من ذلك. قال عيسى -عليه السلام-: فكيف قويت على ذلك البارحـة؟ فلما سـمعوه يقـول ذلك، بعثوا الأعـمى حتى قـام به، فلما استقل قـائمًا حاملاً المقعـد إلى كوة الخزانة. قال عيـسى: هكذا احتالا لمالك البارحة. لأن الأعمى استـعان بقوته، والمقعد بعينيه، فـقال المقعد والأعمى: صدق. فردا على الدهقان ماله.

وشاع أمر عيسى ابن مريم فى مـصر لما حدث على يديه من معجزات، وكانت أمه قد أخـفته طوال السنين التى مكثت فيها بمـصر، وخشت عليه أن يقتله أعداؤه من يهود الشام، وأوحى الله إلى مريم -عليها السلام- أن تذهب به إلى الشام حيث أتت، ففعلت ولم تزل بالشام حتى بلغ الثلاثين سنة فجاءه الوحى وعمره ثلاثون عامًا وكانت نبوته ثلاث سنين(١).

مريم وابنها زمن الرسالة:

عادت مـريم بابنها إلى الشـام موطنه بعد أن بلغ من الـعمر اثنى عـشر عامًـا، وحين بلغ الثلاثين عامًا جـاءته الرسالة والنبوة، ولم يكن لعـيسى ابن مريم -عليه السلام- بيتًا وإنما كـان يسبح فى الأرض، يدعو الناس إلى عبادة الله، وأجرى الله على يديه المعـجزات الباهرة، فكان أولى ما أحـيا من الموتى حين مر على امـرأة قاعـدة عند قبر وهى تـبكى. فقال لهـا: ما لك يا أيتـها المرأة؟ فقـالت: ماتت ابنة لى لم ألـد غيرها وإنى عـاهدت ربى ألا أبرح من

(١) تاريخ الطبرى بتصرف واختصار.

موضعي هذا حتى أذوق ما ذاقت من الموت، أو يحيها الله لي فأنظر إليها.
فقال لها عيسى: أرأيت إن نظرت إليها أراجعة أنت؟ قالت: نعم.

فصلى ركعتين ثم جاء فجلس عند القبر فنادى يا فلانة قومي بإذن الله الرحمن فاخرجي.

فتحرك القبر ثم نادى الثانية.. فانصدع القبر بإذن الله ثم نادى الثالثة.. فخرجت تنفض رأسها من التراب.

فقال لها عيسى: ما أبطأ بك عني؟ فقالت: لما جاءتني الصيحة الأولى بعث الله لي ملكًا فركّب خلقي ثم جاءتني الصيحة الثانية فرجع إلي روحي، ثم جاءتني الصيحة الثالثة فخفت أنها صيحة القيامة، فشاب رأسي وحاجبي وأشفار عيني مخافة القيامة.

ثم أقبلت على أمها. فقالت: يا أماه ما حملك على أن أذوق الموت مرتين يا أماه اصبري واحتسبي فلا حاجة لي بالدنيا. يا روح الله وكلمته سل ربي أن يردني إلى الآخرة وأن يهون عليّ كرب الموت. فدعا ربه فقبضها إليه واستوت عليها الأرض.

فبلغ ذلك اليهود فازدادوا عليه غضبًا(1).

وتكرر إحياء الموتى من عيسى -عليه السلام- أمام بني إسرائيل في أكثر من مرة وذلك كله بأمر الله سبحانه وتعالى، قال تعالى: ﴿إذ قال الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك إذ أيدتك بروح القدس تكلم الناس في المهد وكهلا وإذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير بإذني فتنفخ فيها فتكون طيرا بإذني وتبرئ الأكمه والأبرص بإذني وإذ تخرج الموتى بإذني وإذ كففت بني إسرائيل عنك إذ جئتهم بالبينات فقال الذين كفروا منهم إن هذا إلا سحر مبين ﴿١١٠﴾ وإذ أوحيت إلى الحواريين أن آمنوا بي وبرسولي قالوا آمنا واشهد بأننا مسلمون﴾(2).

(1) ابن كثير في قصص الأنبياء.
(2) سورة المائدة: ١١٠، ١١١.

فكان عيسى -عليه السلام- يحيي الموتى بإذن الله ويخلق من الطين كهيئة الطير وينفخ فيه فيصير طيرًا بإذن الله، ويبرأ المرضى من الأمراض المستعصية بإذن الله، وأنزل عليه الإنجيل وعلمه التوراة، ولكن بني إسرائيل كفروا بما جاء به عيسى ابن مريم واتهموه وأمه بأشنع الاتهامات، وأقام عيسى -عليه السلام- الحجج والبراهين على كفر وضلال بني إسرائيل ولم يؤمن به إلا القليل منهم وهم الحواريون، وحين هم به اليهود كي يقتلوه ووشوا به إلى حاكم البلاد من الرومان، أنقذه الله منهم وشبه لهم غيره فصلبوه وقتلوه وهم لا يدرون أنهم قتلوا شبيهًا له. ورفعه الله إليه إلى السماء كي ينزل آخر الزمان ويقتل الدجال -دجال اليهود- ويقيم الحجة عليهم وعلى من ادعى أنه الله أو ابن الله أو ثالث ثلاثة من النصارى الذين ضلوا وكفروا بعد رفعه حيًا.

فعيسى -عليه السلام- هو خاتم أنبياء بني إسرائيل، وقد بشرهم بأن نبيًا يأتي من بعده اسمه أحمد -ﷺ- وذكر لهم صفاته.

قال تعالى: ﴿وإذ قال عيسى ابن مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين ﴿٦﴾ ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى إلى الإسلام والله لا يهدي القوم الظالمين﴾(1).

ورد الله على اليهود الذين زعموا أنهم قتلوه وصلبوه فقال تعالى في القرآن الكريم: ﴿فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله وقتلهم الأنبياء بغير حق وقولهم قلوبنا غلف بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلا ﴿١٥٥﴾ وبكفرهم وقولهم على مريم بهتانا عظيما ﴿١٥٦﴾ وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقينا ﴿١٥٧﴾ بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزا حكيما ﴿١٥٨﴾ وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا﴾(2).

(1) سورة الصف: ٦، ٧.
(2) سورة النساء: ١٥٥-١٥٩.

وكان ملك بيت المقدس أراد قتله بناءً على وشاية اليهود، وذلك عشية الجمعة، فلما حان وقت دخولهم ألقى شبهة على بعض أصحابه الحاضرين عنده ورفع عيسى من روزنة من ذلك البيت الذى كان فيه إلى السماء وأهل البيت ينظرون إليه، وحين دخلوا ليأخذوه وجدوا الشاب الذى ألقى عليه الشبه، فأخذوه ظانين أنه عيسى فصلبوه ووضعوا الشوك على رأسه إهانة له، وظن البعض ممن رأوا ذلك -بوحى من الشيطان- أنه إله وعاد إلى السماء أو أنه ابن الله وعاد إلى السماء ولكن الموحدين المؤمنين بالله قالوا إنما هو عبد الله ورسوله ورفعه الله وأنه سينزل آخر الزمان قرب قيام الساعة كى يقتل الدجال ويكسر الصليب ويقتل الخنزير كما جاء فى الأحاديث الصحيحة(١).

وأما مريم -عليها السلام- فقد بلغها ما أصاب ابنها حسبما ذكر اليهود أنهم قتلوا عيسى -عليه السلام-، ووجدت الشبيه قد صلب سبعة أيام وهى تحسب أنه ابنها وطلبت منهم أن ينزلوه كى تقوم بدفنه، فأجابوها، وتم دفنه فى القبر، وهى قائمة عند ذلك القبر جاءها جبريل -عليه السلام- وأخبرها أن عيسى -عليه السلام- لم يقتل ولم يصلب وأنه رفع إلى السماء، فرجعت مريم -عليها السلام- وكانت أختها أم يحيى -عليهم السلام- معها، وأخبرها جبريل -عليه السلام- عن ذلك الذى شبه لهم وأن أهله فقدوه ولم يجدوه وهذا دليل على أنه أخذ مكان عيسى -عليه السلام-(٢).

وعاشت مريم -عليها السلام- بعد رفع عيسى -عليه السلام- خمس سنوات وماتت ولها ثلاث وخمسون سنة -عليها السلام-.

وقال الحسن البصرى كان عمر عيسى -عليه السلام- يوم رفع أربعًا وثلاثين سنة، وقال سعيد بن المسيب رفع عيسى وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة(٣).

---

(١) من أراد المزيد فى ذلك فليراجع كتابنا نهاية العالم قريبًا وكتابنا المهدى المنتظر آخر الخلفاء الراشدين وكتب السيرة والتاريخ والتفسير.

(٢)، (٣) ابن كثير قصص الأنبياء بتصرف.

زواج مريم من رسول الله -ﷺ- فى الجنة:

من إنعام الله على مريم -عليها السلام- أن يزوجها فى الجنة بخير البرية -ﷺ-، وقد ذكر ذلك غير واحد من أصحاب السيرة والتاريخ والتفسير، وقد ذكر ابن كثير فى التفسير فى آخر سورة التحريم أن الله سبحانه وتعالى يزوج رسول الله -ﷺ- من مريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون لأنهما من أهل الجنة وبلا زوج، وذكر ذلك عن بعض السلف، وقال: ذلك استئناس بقوله «ثيبات وأبكارا»، فالثيب آسية ومن الأبكار مريم بنت عمران.

وأورد ابن كثير أحاديث قال أن فى أسانيدها نظر، ولكن تكرارها يعضض ضعفها، منها ما رواه الطبرانى عن رسول الله -ﷺ- قال: **«إن الله زوجنى فى الجنة مريم بنت عمران وامرأة فرعون وأخت موسى»**(١).

وروى ابن عساكر عن ابن عباس أن رسول الله -ﷺ- دخل على خديجة وهى فى مرض الموت فقال: **«يا خديجة إذا لقيت ضرائرك فاقرئيهن منى السلام»**. قالت: يا رسول الله وهل تزوجت قبل؟

قال: **«لا. ولكن الله زوجنى مريم بنت عمران وآسية بنت مزاحم وكلثم أخت موسى»**(٢).

وهذه الأمور من الغيبيات التى لا يعلمها إلا الله، وإمكانية حدوثها ممكنة ويقبلها العقل والشرع، ولا شىء فيها، ونحن نقف عن ذلك والله تعالى أعلى وأعلم.

---

(١) رواه أبو الشيخ فى التاريخ أيضًا، وذكره الألبانى فى الأحاديث الضعيفة.

(٢) ذكره ابن كثير فى قصص الأنبياء وعلق عليه وعلى غيره أن إسناده فيه نظر.



آسية بنت مزاحم
امرأة فرعون - رضي الله عنها -

المرأة التى آمنت بربها رغم أنف الطاغية زوجها الفرعون فضرب الله بها مثلاً للذين آمنوا.

٣- المرأة المؤمنة زوجة الطاغية

إنها نموذج فريد من النساء، ضرب الله بها مثلاً للذين آمنوا فى كتابه العزيز، هى ومريم بنت عمران، وإن كان القرآن لم يسمها باسمها، فلم يذكر فى القرآن الكريم اسمًا لمرأة إلا مريم عليها، وذلك لنسب عيسى -عليه السلام- إليها، وذلك من آداب القرآن العظيم. ولكن جاء ذكر اسمها فى السنن النبوية فيما رواه أحمد فى مسنده بسنده عن رسول الله -ﷺ- قال: **«حسبك من نساء العالمين أربع: مريم ابنة عمران، وآسية امرأة فرعون، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد»**(١)، وجاء الحديث أيضًا بطرق أخرى فى كتب السنة بلفظ أفضل نساء أهل الجنة وذكرهن..

ذكر غير واحد من المفسرين أن امرأة فرعون آسية هى بنت مزاحم بن عبيد بن الريان بن الوليد الذى كان فرعون مصر فى زمن يوسف -عليه السلام-.

وقيل إنها من بنى إسرائيل من سبط موسى بل وقيل عمته، وهذا لا يصح والله أعلم(٢).

ولكن المشهور أنها ابنة عم فرعون مصر زمن موسى -عليه السلام-، والمعروف تاريخيًا أن زمن يوسف -عليه السلام- كان يحكم مصر الهكسوس وذكر القرآن الكريم قصة يوسف -عليه السلام- فى القرآن وسمى حاكم مصر بالملك وليس بالفرعون، وقد اضطهدت الفراعنة بنى إسرائيل بعد خروجهم للهكسوس لأنهم ساعدوا الغزاة زمن يوسف -عليه السلام- وقد تولى الوزارة

---

(١) رواه الحاكم فى المستدرك. ورواه الترمذى وصححه بلفظ «خير نساء العالمين أربع: مريم بنت عمران، وآسية امرأة فرعون، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد رسول الله». ورواه ابن عساكر عن طريق أبى بكر بن عبد الله بن داود بن سليمان الأشعث ورواه النسائى عن طريق داود بن أبى هند بلفظ «أفضل نساء أهل الجنة».

(٢) حكاه السهيلى ونقله ابن كثير فى قصص الأنبياء.

فى عهـدهم، فحين عاد المصريون القدماء لحكم البلاد، انتقموا من أعوان الغزاة الذين هم بنو إسرائيل(١).

رؤيا الفرعون:

البداية رؤيا رآها الفرعون فى منامه، وكأن نارًا قد أقبلت من نحو بيت المقدس، فأحرقت دور مصر كلها، ولكنها لم تضر بيوت بنى إسرائيل(٢).

وفزع فرعون لتلك الرؤيا، وجمع كهنته وحكى لهم ما رآه فى منامه، فقالوا له أن غلامًا سيولد من بنى إسرائيل وسيكون هلاكه على يديه.

وقيل إن بنى إسرائيل كانوا يذكرون فيما بينهم أن غلامًا من ذرية إبراهيم -عليه السلام- سيكون هلاك ملك مصر على يديه، ومع هذه الرؤيا الفرعونية تأكد لدى الكهنة ومعبرى الرؤى أن زمن الغلام هذا قد أتى، وأن هذا الفرعون هو فرعون ذلك الغلام.

وأصدر الفرعون أوامره بقتل كل غلام يولد من بـ إسرائيل، حتى جعل رجالاً وقوابل يدورون على النساء الحوامل، ويعلمون ميقات وضعهن فيأتونهن فإذا كان المولود ذكرًا قتلوه وإذا كانت أنثى تركوها، وذلك فى قوله تعالى:

﴿ طسٓمٓ ۝١ تلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ۝٢ نَتْلُو عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝٣ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ۝٤ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ۝٥ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴾(٣).

---

(١) ذكر هذا الرأى وأيده الشيخ محمد متولى الشعراوى فى تفسيره للقرآن الكريم. وهذا ما نرجحه والله أعلم.

(٢) ذكره السدى عن أبى صالح وأبى مالك عن ابن عباس وعن مرة بن شراحبيل وعن ابن مسعود وبعض الصحابة وأورده ابن كثير فى قصص الأنبياء.

(٣) سورة القصص: ١-٦.

ولكن حذر الفرعون لم يمنع قدر الله من الحدوث، فقد اشتكى القبط -أى أهل مصر- من قلة الذكور فى بنى إسرائيل من جراء تلك الأوامر الفرعونية، وكان بنو إسرائيل يعملون فى خدمة أهل مصر، فأصدر فرعون أوامره بقتل الذكور عامًا وتركهم عامًا.

وجاءت قدرة الله سبحانه وتعالى بأن يولد موسى -عليه السلام- فى العام الذى يقتل فيه الغلمان، حتى لا يقال أن موسى نجا فى العام الذى لم يقتل فيه الذكور، لكن قدر الله الخالق العظيم اقتضت أن يولد موسى -عليه السلام- فى العام الذى يقتل فيه الغلمان وأن الذى يربيه فرعون بنفسه وبماله وفى قصره، فحين ولدته أمه خافت عليه من رجال فرعون أن يقتلوه، فأوحى الله إليها أن تضعه فى صندوق خشبى وأن تلقيه فى النهر، ووعدها الحق سبحانه وتعالى أن يرده إليها، وهذا الوحى ليس وحى نبوة بل هو إلهام من الله عز وجل إليها سرى فى وجدانها وقلبها كما ذكر ذلك أبو الحسن الأشعرى وأهل السنة والجماعة.. قال تعالى: ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ۝٧ فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ ۝٨ وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾(١).

ونفذت الأم المؤمنة ما أوحى الله به إليها، ووضعت ابنها الوليد فى التابوت وهو الصندوق ثم ألقته فى النهر، وأمرت أخته أن تسير بجوار النهر لترى أين يذهب الصندوق. وأبصرت الأخت أن الصندوق قد ذهب إلى قصر الفرعون وقد وجدته الجوارى بين الشجر والماء، فلذلك سمى «موسى» وأخذوه إلى الملكة زوجة الفرعون «آسيا» فلما رأته وقع حبه فى قلبها وملك عليها مشاعرها وجوارحها، وأتت به إلى زوجها الفرعون فرحة به، فقال لها: ما هذا؟ وعلم أنه من بنى إسرائيل، فأمر بقتله، ولكن الزوجة ذات

---

(١) سورة القصص: ٧--٩

الفراسة احتضنت المولود الرضيع، وقالت لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدًا، فكانت لا تنجب وقالت للفرعون: قرة عينى لى ولك.

وحين رأى الفرعون شغفها وحبها لذلك الرضيع قال: أما لك فنعم وأما لى فلا حاجة لى به.

وتركها الفرعون والرضيع بعد أن وافق أن تربيه الملكة وتجعله ابنًا لها. وتلك حكمة الله البالغة. فقد ألقى الله سبحانه وتعالى المحبة عليه لكل من يرى موسى -عليه السلام-، قال تعالى مخاطبًا موسى: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي﴾[1].

وجاءت امرأة فرعون بالمرضعات كى يرضعن الصغير، إلا أنها فوجئت أنه يرفض أن يرضع منهن، وجعلت تأتى بغيرهن، ولا فائدة وكاد الغلام أن يهلك جوعًا، وهنا تدخلت أخت موسى، فقالت لهم:

هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون.

قالوا: وما يدريك بنصحهم وشفقتهم عليه.

قالت: رغبة فى سرور الملك ورجاء منفعته.

قال تعالى: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (١٠) وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (١١) وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ (١٢) فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾[1].

وذهبوا به إلى أمه، فالتقط ثديها على الفور ففرحوا بذلك، وأرادت زوجة الفرعون أن تحضر أمه لديها فى قصرها كى ترضعه لها ولكنها اعتذرت عن ذلك لوجود أولادها فى المنزل ورعايتها لهم، وطلبت منها أن ترضعه لها فى بيتها، فأرسلته معها وأعطتها المال الوفير لذلك.

---

(١) سورة طه: ٣٩.
(٢) سورة القصص: ١٠-١٣.

وهكذا عاد موسى -عليه السلام- إلى أمه ترضعه وتربيه وتحصل على ذلك أجرًا ومنفعة من فرعون، وهو لا يدرى أن هذا هو الغلام الذى يبحث عنه وأن هلاكه سيكون على يديه بأمر الله وقدره.

وتربى موسى -عليه السلام- فى رعاية امرأة فرعون وفى أحضان أمه الحقيقية، فكان له أمًا ولدته وأرضعته، وأخرى شملته بالرعاية والحب حتى بلغ أشده، وقد أعلمته أمه أنه من بنى إسرائيل وأنها أمه الحقيقية.

ولما أصبح شابًا قوى البنيان أعطاه الله من لدنه علمًا وحكمة، قيل إن ذلك حين بلغ الأربعين من عمره، وبينما هو فى المدينة يمشى رأى رجلاً من أهله ورجلاً من أهل فرعون يقتتلان فاستغاثه الذى هو من أهله على الآخر، فتدخل موسى لصالح الذى من شيعته وضرب القبطى فقتله، ولكن موسى لم يرد ذلك، فهو يريد زجره ودفع الظلم عن ذلك الإسرائيلى، ولكن حادثة القتل وقعت، واستغفر موسى -عليه السلام- ربه من ذلك، قال تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (١٤) وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ (١٥) قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (١٦) قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ﴾[1].

وأصبح موسى -عليه السلام- فى اليوم التالى يسير فى المدينة وهو خائف يترقب ماذا سيحدث له؟ وهل علم فرعون وقومه بما حدث، فهو لم يذهب إلى القصر الفرعونى منذ ما حدث بالأمس، وهو يسير فى طرقات المدينة إذ به يرى نفس الرجل الذى من شيعته يتشاجر مع رجل آخر من أهل

---

(١) سورة القصص: ١٤-١٧.

القبط[1]. . وعنف موسى -عليه السلام- ذلك الإسرائيلى، ورغم ذلك تدخل موسى كى يبطش بالقبطى، ولكن الإسرائيلى ظن أن موسى يريد أن يبطش به هو فقال لموسى: أتريد أن تقتلنى كما قتلت نفسًا بالأمس إن تريد إلا أن تكون جبارًا فى الأرض.

وقيل أن قاتل ذلك هو القبطى بعد أن أشيع فى المدينة أن موسى قتل منهم رجلاً، المهم أن الفرعون أرسل فى طلب لموسى ليقتص منه بعد أن تأكد لديه أنه عدو له وأنه من بنى إسرائيل وأصبح الشك لديه يقينًا لا مراء فيه أن موسى هو الغلام المقصود.

وجاء رجل من أهل فرعون ناصحًا لموسى -عليه السلام- بعد أن علم بالمؤامرة المدبرة لقتل موسى -عليه السلام- من فرعون وقومه. قال تعالى: ﴿فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسَىٰ إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَا مُوسَىٰ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِن تُرِيدُ إِلَّا أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ ﴿١٩﴾ وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ ﴿٢٠﴾ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾[2].

وخرج موسى من مصر خائفًا يترقب خشية أن يدركه جنود فرعون، اتجه نحو سيناء وهو يدعو ربه ﴿رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾.

ووصل المسير بموسى -عليه السلام- إلى مدينة مدين على الحدود بين مصر والشام، وتقابل هناك مع الرجل الصالح الذى قيل أنه شعيب أو ابن عم

(١) القبط هم أهل مصر ولا علاقة بين كلمة القبط والديانة فليس كلمة قبطى كما يظن العامة أنها تعنى المسيحى، فالأقباط هم فى اللغة شعب مصر منذ القدم نسبة إلى «قبط» وهو من أحفاد نوح -عليه السلام- الذى عاش على أرض مصر وذريته هم أهل مصر وسموا على اسمه وبالتالى فإن كلمة الأقباط تعنى أهل مصر مسلمون وغيرهم.

(٢) سورة القصص: ١٨-٢١.

شعيب النبى الرسول الذى بعث إلى أهل مدين، وتزوج إحدى ابنتيه «صفورا» وقضى عنده عشر سنوات. كما قال لنا القرآن الكريم: ﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَىٰ أَن تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾[1].

وبعد أن مكث فى مدين عشر سنوات، اشتاق إلى رؤية أمه وأهله، فأخذ زوجته وأهله ومضى إلى مصر عن طريق سيناء، فلقد مضى سنوات وسنوات، وتغير شكله ونسى أهل فرعون ما فعله.. وعند الوادى المقدس.. عند طور سيناء.. جاءته الرسالة من الله.. وكلمه الله تكليمًا سبحانه وتعالى، وأرسله الله إلى فرعون ومعه الآيات الدالة على صدق رسالته، قال تعالى: ﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَىٰ أَن تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٢٨﴾ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِن جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِن شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَن يَا مُوسَىٰ إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٠﴾ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَىٰ أَقْبِلْ

(١) سورة القصص: ٢٥-٢٨.

Scanned by CamScanner

القبط[1]. . وعنف موسى -عليه السلام- ذلك الإسرائيلى، ورغم ذلك تدخل موسى كى يبطش بالقبطى، ولكن الإسرائيلى ظن أن موسى يريد أن يبطش به هو فقال لموسى: أتريد أن تقتلنى كما قتلت نفسًا بالأمس إن تريد إلا أن تكون جبارًا فى الأرض.

وقيل أن قاتل ذلك هو القبطى بعد أن أشيع فى المدينة أن موسى قتل منهم رجلاً، المهم أن الفرعون أرسل فى طلب لموسى ليقتص منه بعد أن تأكد لديه أنه عدو له وأنه من بنى إسرائيل وأصبح الشك لديه يقينًا لا مراء فيه أن موسى هو الغلام المقصود.

وجاء رجل من أهل فرعون ناصحًا لموسى -عليه السلام- بعد أن علم بالمؤامرة المدبرة لقتل موسى -عليه السلام- من فرعون وقومه. قال تعالى: ﴿ فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسَىٰ إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَا مُوسَىٰ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِن تُرِيدُ إِلَّا أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ ﴿١٩﴾ وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ ﴿٢٠﴾ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾[2].

وخرج موسى من مصر خائفًا يترقب خشية أن يدركه جنود فرعون، اتجه نحو سيناء وهو يدعو ربه ﴿ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾.

ووصل المسير بموسى -عليه السلام- إلى مدينة مدين على الحدود بين مصر والشام، وتقابل هناك مع الرجل الصالح الذى قيل أنه شعيب أو ابن عم

---

(١) القبط هم أهل مصر ولا علاقة بين كلمة القبط والديانة فليس كلمة قبطى كما يظن العامة أنها تعنى المسيحى، فالأقباط هم فى اللغة شعب مصر منذ القدم نسبة إلى «قبط» وهو من أحفاد نوح -عليه السلام- الذى عاش على أرض مصر وذريته هم أهل مصر وسموا على اسمه وبالتالى فإن كلمة الأقباط تعنى أهل مصر مسلمون وغيرهم.

(٢) سورة القصص: ١٨-٢١.

شعيب النبى الرسول الذى بعث إلى أهل مدين، وتزوج إحدى ابنتيه «صفورا» وقضى عنده عشر سنوات. كما قال لنا القرآن الكريم: ﴿ فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَىٰ أَن تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴾[1].

وبعد أن مكث فى مدين عشر سنوات، اشتاق إلى رؤية أمه وأهله، فأخذ زوجته وأهله ومضى إلى مصر عن طريق سيناء، فلقد مضى سنوات وسنوات، وتغير شكله ونسى أهل فرعون ما فعله. . وعند الوادى المقدس. . عند طور سيناء. . جاءته الرسالة من الله. . وكلمه الله تكليمًا سبحانه وتعالى، وأرسله الله إلى فرعون ومعه الآيات الدالة على صدق رسالته، قال تعالى: ﴿ فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَىٰ أَن تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٢٨﴾ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِن جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِن شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَن يَا مُوسَىٰ إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٠﴾ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَىٰ أَقْبِلْ

---

(١) سورة القصص: ٢٥-٢٨.

وَلا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الآمِنِينَ (٣١) اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾(١).

وعاد موسى -عليه السلام- رسولاً من رب العالمين إلى فرعون يطلب منه أن يخرج معه بنى إسرائيل، ويريه البرهان على ذلك.. العصا التى تنقلب إلى ثعبان ضخم، ويده التى يضعها فى جيبه فتخرج بيضاء تشع نورًا، وأرسل الله مع موسى أخاه هارون نبيًّا يسانده ويؤازره كما طلب موسى -عليه السلام- ذلك من ربه. قال تعالى: ﴿وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي (٣٢) كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا (٣٣) وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا (٣٤) إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا (٣٥) قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى﴾(٢).

ولكن فرعون عليه اللعنة رفض الانصياع لأوامر الله واتهم موسى وأخاه بالسحر.. وأحضر لهما السحرة من كل مكان، ولكن موسى -عليه السلام- قد أيده الله بالمعجزات الباهرات فانتصر بهما على السحر والسحرة كما يحكى لنا القرآن الكريم: ﴿وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَى (٥٦) قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَى (٥٧) فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لاَّ نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلا أَنتَ مَكَانًا سُوًى (٥٨) قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى (٥٩) فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَى (٦٠) قَالَ لَهُم مُّوسَى وَيْلَكُمْ لا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى (٦١) فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى (٦٢) قَالُوا إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى (٦٣) فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَى (٦٤) قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَن تُلْقِيَ وَإِمَّا أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى (٦٥) قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى (٦٦) فَأَوْجَسَ

(١) سورة القصص: ٢٥-٣٢.
(٢) سورة طه: ٣٢-٣٦.

فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَى (٦٧) قُلْنَا لا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ الأَعْلَى (٦٨) وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى﴾(١).

وآمنت امرأة فرعون «آسية» بالله رب العالمين وأعلنت ذلك لموسى -عليه السلام- بل إنها دعت ربها قائلة ﴿رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾(٢).

وهكذا آمنت آسية بربها كما آمن السحرة الذين جاء بهم فرعون لموسى -عليه السلام- كى يواجهوه بسحرهم ظنًا منه أنه هو وأخاه ساحران.

وظلت «آسيا» -رضي الله عنها- تدافع عن موسى ودعوته أمام جبروت فرعون، وعلم الطاغية أن زوجته قد اتبعت موسى ورسالته وأنها آمنت بالله عز وجل، وكفرت به وبألوهيته الكاذبة.

وحاول فرعون أن يصرفها عن طريق الإيمان، وهددها، ولكنها لجأت إلى ربها الخالق العظيم، ودعته أن ينجيها من فرعون وعمله، واستجاب الله لها، فحين قام فرعون بتعذيبها بأن وضعها على الأوتاد موثقة بالقيود، وألقاها فى الشمس الحارقة حتى الموت قبض الله روحها إليه راضية مرضية. وضرب الله بها مثلاً للذين آمنوا وأنزل فيها قرآنًا يتلى إلى يوم القيامة.

قال تعالى: ﴿رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾(٣).

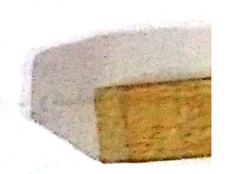
وتذكر كتب التاريخ والسير أن فرعون أمر بإحضار صخرة كبيرة لتلقى عليها بعد تعذيبها، ولكن الله رفعها إليه كى تحيا فى الجنة فى بيتها الذى بناه الله لها، وتكون زوجة لرسول الله -صلى الله عليه وسلم- فى الجنة كما جاء فى الأحاديث

(١) سورة القصص: ٥٦-٦٩.
(٢) سورة التحريم: ١١.
(٣) سورة التحريم: ١١.

التى ذكرناها فى قصة السيدة البتول مريم بنت عمران، وتكون من خير نساء العالمين هى ومريم والسيدة خديجة والسيدة فاطمة بنت محمد كما قال -ﷺ- فى أحاديث كثيرة:

«خير نساء العالمين أربع: مريم بنت عمران وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون وخديجة وفاطمة»[1].

رضى الله عنها وأرضاها فى جنات النعيم.



(١) سبق تخريجه فى قصة مريم بنت عمران فليراجع.

٤

فاطمة بنت محمد

-ﷺ-

بنت أبيها سيدة نساء العالمين وسيدة أهل الجنة -رضي الله عنها-

٤- فاطمة الزهراء

فى البلد الحرام.. مكة المكرمة.. كان ميلاد بنت أبيها فاطمة الزهراء، رابعة بنات رسول الله -ﷺ-.

الزمان.. قبل مبعث رسول الله -ﷺ- بخمس سنوات تقريبًا، وكانت قريش حينئذ تقوم بتجديد الكعبة، واختلفوا فيمن يضع الحجر الأسود فى مكانه، وحين اشتد الخلاف بينهم اتفقوا أن يكون الحكم بينهم أول من يدخل المسجد الحرام عليهم، فكان محمد -ﷺ-، وعرضوا عليه الأمر فكان الرأى الرشيد الذى حقن الدماء وأرضى جميع الأطراف، أن طرح رداءه على الأرض ووضع الحجر الأسود فيه وأمر جميع الأطراف المتنازعة المختلفة بمسك طرفًا من الثوب حتى جاء مكان وضع الحجر بالكعبة، فحمله ووضعه بيده الشريفة، وانتهت الفتنة التى كادت أن تعصف بالجميع.

نشأت فاطمة فى بيت النبوة، فما إن تفتحت عينيها ونطق لسانها حتى أشرق نور النبوة والإسلام فى البيت، وأسلم الجميع، كل أفراد الأسرة المحمدية من الزوجة والموالى والبنات، فكان إسلامهم إسلام الفطرة السوية.

مواقف مضيئة:

رغم صغر سنها فى بداية الدعوة، إلا أن لها مواقف مضيئة، أظهرت شجاعتها وقوة إيمانها بربها سبحانه وتعالى، وهذا ما تحكيه لنا كتب السيرة والحديث، أنه ذات يوم ورسول الله -ﷺ- يصلى فى الكعبة، وكفار قريش يجلسون يتغامزون على رسول الله -ﷺ-، وقد ذبح أحدهم جملاً، فقالوا: من يقوم إلى هذا السلا -قاذورات الجمل- فيلقيه على ظهر محمد وهو ساجد.

ويقوم بتلك المهمة القذرة الفاجرة أحدهم وهو عقبة بن أبى معيط ويعلن على فوره: أنا وأسرع يحمل سلا الجمل وألقاه على ظهر رسول الله -ﷺ- وهو ساجد لله فى صلاته، والكفار من حوله يضحكون وتتعالى ضحكاتهم وتمايلهم الشديد من أثر الضحك والاستهزاء، وظل رسول الله -ﷺ- ساجدًا لا يتحرك، حتى جاءت فاطمة الزهراء -رضي الله عنها- وكانت صغيرة السن تهرول نحو أبيها تلقى القاذورات من فوق ظهره وتصب عليه الماء تغسله، ثم أقبلت على العصبة الكافرة فسبتهم وأغلظت لهم القول، ولما انتهى رسول الله -ﷺ- من صلاته دعا عليهم بهذا الدعاء **«اللهم عليك بشيبة بن ربيعة، اللهم عليك بأبى جهل بن هشام، اللهم عليك بعتبة بن أبى معيط، اللهم عليك بأمية بن خلف»**.

وحين سمع عصبة الكفر هذا الدعاء من رسول الله -ﷺ- سكتوا وكأن على رؤوسهم الطير، خوفًا من تحقق هذا الدعاء وقد أدركوا أنه واقع بهم لا محالة.

وقد استجاب الله سبحانه وتعالى لدعاء نبيه -ﷺ-، وقتلوا جميعًا فى غزوة بدر الكبرى بأيدى المسلمين.

وعاشت السيدة فاطمة -رضي الله عنها- مع أبيها مراحل الدعوة من بدايتها حتى نهايتها، فعاصرت حصار قريش للمسلمين وبنى هاشم فى شعب أبى طالب.. ذلك الحصار الاقتصادى والاجتماعى.. وهى التى سميت بالمقاطعة التى استمرت ثلاث سنوات، حتى جاء نصر الله لرسوله ومن معه بأن سلط الله القرضة وهى حشرة صغيرة على صحيفة المقاطعة التى كتبها أهل الشرك ولم يبق فيها إلا اسم الله.

وما إن خرج المسلمون من الحصار حتى مرضت السيدة خديجة -رضي الله عنها- وتوفيت راضية مرضية، وفقدت بذلك فاطمة -رضي الله عنها- الأم وهى ما زالت صغيرة، وتعلقت بأبيها الذى وسعها قلبه الكبير.

وهاجرت فاطمة الزهراء إلى المدينة المنورة بعد هجرة أبيها إليها وعاشت فى المدينة المنورة حياة جديدة ومجتمعًا جديدًا غير الذى كان بمكة المكرمة. إنه المجتمع الإسلامى الأول الجديد.

زواجها بالإمام على -رضي الله عنها-:

ما إن بلغت فاطمة -رضي الله عنها- سن الزواج حتى جاءها كبار الصحابة، ولكن جواب أبيها -ﷺ- لهم: **«أنتظر بها القضاء»**.

وأدرك الصاحبان أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب أن رسول الله -ﷺ- يريد فاطمة أن تتزوج من ابن عمها على بن أبى طالب.

ويشير البعض على الإمام على بن أبى طالب أن يذهب لخطبة فاطمة -رضي الله عنها- من أبيها، ولكنه يستحى أن يتقدم لها وهو لا يملك شيئًا من حطام الدنيا، ولكنه تشجع وذهب إلى رسول الله -ﷺ- وسأله فى استحياء أن يزوجه فاطمة وهنا تبسم له النبى -ﷺ- وسأله:

«وهل عندك شىء».

فيقول على بن أبى طالب:

لا يا رسول الله.

فقال -ﷺ-: **«فأين درعك الحطمية التى أعطيتك يوم كذا وكذا»**.

فقال على -رضي الله عنه-: هى عندى يا رسول الله.

فقال -ﷺ-: **«فأعطها إياه»**(١).

وجاء على -رضي الله عنه- بالدرع، وأمره رسول الله -ﷺ- ببيعه لتجهيز العروس واشترى عثمان بن عفان الدرع بأربعمائة وسبعين درهمًا، وتم تجهيز بيت الزوجية(٢).

---

(١) طبقات ابن سعد.
(٢) ذكره البخارى وأحمد فى مسنده.

وكانت فاطمة وقتها قد بلغت الثامنة عشر من عمرها وعلى أكبر منها بأربع سنين.

وكان فرش بيت الزوجية لأعظم عروسين عبارة عن جلد كبش ووسادة حشوها من الليف وسقاء وجرتين، ورحى للطحن.

فأين أنتم يا من تدعون الإسلام والإيمان من تلك الزيجة المباركة لابنة خير البشرية وقد كان فى الإمكان أن يكون بيتها قصرًا مشيدًا وفرشه أعظم من أى بيت فى هذا العصر، وقد رأينا فى عصرنا الحاضر المبالغة فى تجهيز العروس وادعاء الفتيات الإيمان والإسلام وحين التطبيق لا نجد إلا الكلام فقط دون العمل، وتلك قدوتنا نقدمها لهن.. خير نساء العالمين ابنة خير البرية -ﷺ-.

وكانت ليلة الزفاف ليلة مباركة دعا لهما رسول الله -ﷺ- **«اللهم بارك لهما اللهم بارك فيهما، اللهم بارك لهما فى نسلهما»** ونحر العم حمزة بن عبد المطلب الإبل وأطعم المسلمين، وكان منزل الزوجية بعيدًا عن بيت النبوة، فحوله رسول الله -ﷺ- إلى جواره.

فى منزل الزوجية:

عاشت السيدة الفاضلة فاطمة -رضي الله عنها- فى بيت زوجها التقى الورع ابن عمها -رضي الله عنه-، تعمل فى البيت وحدها دون أن يساعدها خادمًا أو خادمة، تعمل بيدها، وكانت معها أم زوجها فاطمة بنت أسد -رضي الله عنها-، فقد وزع العمل بينهما.. فاطمة بنت رسول الله -ﷺ- تخدم البيت بالداخل من العجن والخبز والطحن، والأم تكفى الخدمة خارج البيت.

وعاشت فاطمة -رضي الله عنها- مع زوجها صابرة لا تشتكى، تشاركه زهده فى الدنيا، وتسعى إلى مرضاة ربها.

ورأى على بن أبى طالب أثر الطحن والعمل بالبيت قد ظهر على يدى

زوجته، وهو لا يملك أن يشترى جارية تخدمها، ولكنه استبشر بوصول غنائم وسبايا من إحدى الغزوات، فأشار علىٌّ على زوجته فاطمة -رضي الله عنها- أن تذهب إلى أبيها -ﷺ- تطلب منه أن يعطيها من السبايا خادمًا ليعينها على العمل فى البيت.

وذهبت فاطمة إلى رسول الله -ﷺ-.. ورحب بها.. ولما رأى سكوتها قال لها:

«ما جاء بك، وما حاجتك أى بنية؟».

قالت: جئت لأسلم عليك.

واستحيت فاطمة -رضي الله عنها- أن تطلب منه خادمًا من السبايا وذهبت إلى بيتها ولكن على زوجها استحثها وشجعها وذهب معها إلى رسول الله -ﷺ-، وسألاه أن يعطيهما خادمًا من السبايا.. فقال لهما الرسول القدوة -ﷺ-:

«لا والله لا أعطيكما، وأدع أهل الصفة».

-وهم فقراء الصحابة -تطوى بطونهم، لا أجد ما أنفق عليهم، ولكنى أبيعهم وأنفق عليهم أثمانهم.

ورجعا إلى بيتهما ولم يتحقق لهما ما أرادا، ولم يلبثا إلا قليلاً حتى جاءهما رسول الله -ﷺ-، وقد دخلا فى فراشهما وغطيا أقدامهما، فقال لهما رسول الله -ﷺ-: **«مكانكما»**.

ثم اقترب منهما وقال:

«ألا أخبركما بخير مما سألتمانى».

فأجابا: بلى يا رسول الله.

قال: **«كلمات علمنيهن جبريل، تسبحان الله فى دبر كل صلاة عشرًا، وتحمدان عشرًا، وتكبران عشرًا، وإذا أويتما إلى فراشكما تسبحان ثلاثًا وثلاثين وتحمدان ثلاثًا وثلاثين وتكبران ثلاثًا وثلاثين فهو خير لكما من**

خادم»(١)

وغطاهما بكساء ثم قال: «**اللهم هؤلاء أهل بيتى، اللهم فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً**» قالها ثلاثًا، ثم قال: «**اللهم اجعل صلواتك وبركاتك على آل محمد كما جعلتها على آل إبراهيم إنك حميد مجيد**».

ويروى صاحب سير أعلام النبلاء أن رسول الله -ﷺ- قد دخل يومًا على فاطمة -رضي الله عنها- وقد أخذت من عنقها سلسلة من ذهب فقالت: هذه أهداها لى أبو حسن -أى زوجها- فقال -ﷺ-: «**يا فاطمة أيسرك أن يقول الناس هذه فاطمة بنت محمد وفى يدها سلسلة من نار؟**».

ثم خرج من عندها، فاشترت فاطمة بالسلسلة غلامًا عبدًا واعتقته، فقال النبى -ﷺ-: «**الحمد لله الذى نجى فاطمة من النار**».

إن تلك القصة تشير إلى زهد آل البيت النبوى فى متاع الدنيا، فهم القدوة، والذهب كما هو معلوم حرام على رجال هذه الأمة حلال على نسائها. كما جاء فى الحديث الصحيح. ولكنه الورع والزهد.

وواصلت فاطمة المسير فى الزهد والعبادة تشبهًا بأبيها -ﷺ-، فقد سمعته يقول لها: «**يا فاطمة بنت محمد سلينى ما شئت من مالى، لا أغنى عنك من الله شيئًا**».

فكانت السيدة فاطمة -رضي الله عنها- أشبه كلامًا وحديثًا بأبيها -ﷺ-، وفى ذلك تقول السيدة عائشة أم المؤمنين -رضي الله عنها-(٢): «ما رأيت أحدًا أشبه كلامًا وحديثًا برسول الله -ﷺ- من فاطمة، وكانت إذا دخلت عليه قام إليها، فقبلها، ورحب بها، وكذلك كانت هى تصنع به»(٣).

---

(١) رواه البخارى ومسلم والترمذى والنسائى وأحمد وأصحاب السنن والسيرة.

(٢) رواه البخارى ومسلم.

(٣) رواه أبو داود والترمذى والحاكم فى المستدرك وصححه الذهبى.

ومن فضائلها -رضي الله عنها- أن رسول الله -ﷺ- قال: «**إن فاطمة بضعة منى فمن أغضبها فقد أغضبنى**»(١).

وقال أيضًا: «**إن فاطمة بضعة منى يُريبنى ما رابها ويؤذينى ما أذاها**»(٢).

الذرية النبوية من نسل فاطمة -رضي الله عنها-:

لم يمض عامًا على زواجها حتى رزقت بالمولود الأول لها.. فسماه الرسول -ﷺ- «الحسن» وأذن فى أذنه وحنكه بنفسه، وحلق شعر رأسه فى اليوم السابع وتصدق بوزنه فضة وعق عنه بشاتين. وكان ذلك فى العام الثالث من الهجرة فى شهر شعبان.

وبعد عام من ميلاد الحسن -رضي الله عنه- فى نفس الشهر «شعبان» جاء المولود الثانى «الحسين»، وفعل معه ما فعله مع أخيه، وقال عنهما «**هما ريحانتاى من الدنيا**»(٣).

ومن كرم الله سبحانه وتعالى أن جعل ذرية أهل البيت النبوى فى ذريتها إلى يوم القيامة، فلم يكن لأحفاد النبى -ﷺ- عقب سوى نسل فاطمة -رضي الله عنها-.

ورزق الله سبحانه وتعالى فاطمة بابنتين هما زينب التى ولدت فى العام الخامس من الهجرة، وأم كلثوم التى ولدت فى العام السابع من الهجرة، وقد سماهما رسول الله -ﷺ- على أسماء خالتهما -رضي الله عنهن **جميعًا**-.

وهكذا كان أهل البيت النبوى الذى يخرج منه فى آخر الزمان المهدى المنتظر من ولد السيدة الفاضلة فاطمة -رضي الله عنها-.

---

(١) رواه البخارى ومسلم.

(٢) متفق عليه.

(٣) رواه البخارى وأحمد فى مسنده والترمذى وقال أيضًا عنهما: «**اللهم إنى أحبهما فأحبهما وأحب من يحبهما**» وذكره صاحب «سير أعلام النبلاء» للإمام الذهبى.

وتروى السيدة أم المؤمنين أم سلمة -رضي الله عنها- أن رسول الله -ﷺ- قد جلَّل على الحسن والحسين وعلى وفاطمة كساء ثم قال:

«اللهم هؤلاء أهل بيتى وخاصتى أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً».

فقالت أم سلمة: وأنا معهم يا رسول الله؟

قال: **«إنك إلى خير»**(١).

وحين نزلت آية المباهلة وهى قوله تعالى:

﴿ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴾(٢).

وقد نزلت فى وفد نجران من النصارى بعد مناقشتهم وحوارهم مع رسول الله -ﷺ- بالمدينة فى شأن المسيح -عليه السلام- وادعائهم أنه ابن الله وثالث ثلاثة، فلما نزل قوله تعالى بالمباهلة -أى الملاعنة- دعا النبى -ﷺ- عليًا والحسن والحسين وفاطمة وقال: **«اللهم هؤلاء أهل بيتى»**(٣).

وأحب رسول الله -ﷺ- أبناء فاطمة -رضي الله عنها- حبًا شديدًا، وكان يظهر هذا الحب فى كل الأحيان حتى وهو على المنبر يخطب الناس، فقد رأى يومًا الحسن والحسين يمشيان ويعثران، فنزل من على المنبر فحملهما ووضعهما بين يديه ثم قال: **«صدق الله: ﴿ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾(٤) فنظرت إلى هذين الصبيين يمشيان ويعثران، فلم أصبر حتى قطعت حديثى ورفعتهما».**

وفيما أخرجه أصحاب السنن أن رسول الله -ﷺ- صلى بالمسلمين

(١) رواه الترمذى.
(٢) سورة آل عمران: ٦١.
(٣) أسباب النزول للواحدى والشفاء للقاضى عياض، وقد رفض نصارى نجران المباهلة خوفًا من أن تصيبهم اللعنة ورضوا أن يدفعوا الجزية لرسول الله -ﷺ- ومصالحته على ذلك.
(٤) سورة التغابن: ١٥، والحديث رواه الترمذى وأحمد فى مسنده وأبو داود فى سننه والنسائى.

فجاء الحسن والرسول ساجدًا، فجلس على ظهره الشريف، فرفعه -ﷺ- رفعًا رقيقًا، فلما رفع من صلاته وضعه فى حجره الشريف، فكان يدخل أصابعه فى لحيته والنبى -ﷺ- يضمه ويقبله فى عطف وحنان ويقول: **«اللهم إنى أحبه».**

وقالوا له -ﷺ- يومًا: يا رسول الله إنا رأيناك تصنع بهذا الصبى شيئًا ما رأيناك تصنعه بأحد.

فقال: **«إن هذا ريحانتى من الدنيا، إن هذا ابنى سيد وعسى الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين»**(١).

وعن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: إن هذه الآية الكريمة: **﴿ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى ﴾**(٢) قالوا يا رسول الله من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم.

قال -ﷺ-: **«علىٌّ وفاطمة وابناها».**

وفى فضل السيدة فاطمة -رضي الله عنها- قال -ﷺ-: **«أفضل نساء أهل الجنة خديجة وفاطمة»**(٣).

وقال أيضًا: **«حسبك من نساء العالمين أربع: مريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد وآسية امرأة فرعون»**(٤).

وعن كمال عقلها وكمالها كلها قال -ﷺ-: **«كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا مريم بنت عمران، وآسية امرأة فرعون وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد، وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على الطعام»**(٥).

(١) رواه البخارى فى صحيحه وأحمد فى مسنده، والنسائى.
(٢) سورة الشورى: ٢٣ والحديث أخرجه أحمد والطبرانى والحاكم.
(٣) أخرجه الترمذى.
(٤) رواه أحمد فى مسنده.
(٥) أخرجه البخارى ومسلم.

ولم يتزوج على بن أبى طالب عليها فى حياتها امرأة غيرها وإنما تزوج بعد وفاتها -رضي الله عنها-.

وفاتها -رضي الله عنها-:

لقد عاشت فاطمة -رضي الله عنها- مع أبيها -ﷺ- مراحل دعوته منذ البداية ورافقته فى غزواته فى سبيل الله، وكما أحبها -ﷺ- أحبته أيضًا، فحين حضرته الوفاة -ﷺ- دعا فاطمة -رضي الله عنها- وقال لها: «نعيت إلىَّ نفسى» فبكت فقال لها: **«لا تبكينى فإنك أول أهلى لاحقًا بى»** فضحكت.

وكان هذا الحديث همسًا لم يسمعه أحد ممن كان حولهما.. وقد سألتها السيدة عائشة عن بكائها وضحكها، قبل وفاة رسول الله -ﷺ- فلم تفصح لها عن ذلك الحديث إلا بعد وفاته -ﷺ-.

وحين قالت -رضي الله عنها- وقد رأت شدة سكرات الموت على أبيها -ﷺ-: «وآه كرب أبتاه» قال لها -ﷺ-: **«ليس على أبيك كرب بعد اليوم»**.

وانتقل رسول الله -ﷺ- إلى الرفيق الأعلى، وحزنت فاطمة على فراقه -ﷺ-، وبكت وقالت لأنس بن مالك بعد دفنه -ﷺ-: «يا أنس كيف طابت أنفسكم أن تحثوا التراب على رسول الله -ﷺ-»[1].

واشتد حزنها ووجدها على فراق أبيها ورسولها -ﷺ-، ومرضت مرضًا شديدًا توفيت على إثره -رضي الله عنها- بعد وفاة أبيها -ﷺ- بنحو ستة أشهر.

-رضي الله عنها وأرضاها-، وذلك فى العام الحادى عشر من الهجرة من شهر رمضان، وقد بلغت من العمر نحو ثمانية عشر أو أكثر قليلاً وقيل سبع وعشرين سنة وكانت أول أهل البيت لحوقًا برسول الله -ﷺ- كما أخبرها أبوها -ﷺ- فى مرض موته فرضى الله عنها وأرضاها.

(١) رواه البخارى ومسلم.

الباب الثانى

نساء شهدن بيعة الرضوان

قال -ﷺ-: «لا يدخل النار أحد ممن بايع تحت الشجر» رواه مسلم.

(٥) أم المنذر سلمى بنت قيس -رضي الله عنها-.

(٦) الفريعة بنت مالك -رضي الله عنها-.

(٧) أسماء بنت يزيد السكنى -رضي الله عنها-.

(٨) أم هشام بنت حارثة -رضي الله عنها-.

قال -ﷺ-:

«لا يدخل النار أحد ممن بايع تحت الشجرة»[1].

قال تعالى:

﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾[2].

(١) رواه مسلم.

(٢) سورة الفتح: ١٨.

٥

سلمى بنت قيس الأنصارية - رضي الله عنها -

صحابية شاركت فى بيعة الرضوان، فكانت ممن رضى الله عنهن.

﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ ﴾ .

٥- أم المنذر سلمى بنت قيس -رضي الله عنها-

هى صحابية جليلة أسلمت وأشرق نور الإسلام فى قلبها حين جاء سفير الإسلام الأول إلى المدينة، يدعو أهلها إلى الإيمان بالله ورسوله ويعلمهم أمور دينهم «مصعب بن عمير» -رضي الله عنه-، إنها خالة النبى -صلى الله عليه وسلم- من بنى النجار[١] بالمدينة المنورة سلمى بنت قيس بن عمرو بن عبيد من بنى النجار تكنى أم المنذر وزوجها هو قيس بن صعصعة بن وهب الأنصارى وابنها المنذر بن قيس.

وبنو النجار هم أخوال النبى -صلى الله عليه وسلم- بالمدينة المنورة، فقد تزوج منهم جد النبى -صلى الله عليه وسلم- هاشم بن عبد مناف زوجته سلمى بنت عمرو بن زيد من بنى النجار قديمًا وأنجب منها عبد المطلب جد رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، وكان يسميهم رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بذلك.

وأم المنذر سلمى بنت قيس قد شهدت البيعتين وصلت إلى القبلتين مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم-.

وبيعة النساء التى شهدتها أم المنذر جاء نصها فى كتاب الله عز وجل فى قوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰ أَن لاَّ يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلا يَسْرِقْنَ وَلا يَزْنِينَ وَلا يَقْتُلْنَ أَوْلادَهُنَّ وَلا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[٢].

وتقول السيدة الفاضلة أم المنذر عن تلك البيعة: «جئت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فبايعته فى نسوةٍ من الأنصار فلما شرط علينا ألا نشرك بالله شيئًا ولا

---

(١) أسد الغابة وتهذيب التهذيب.

(٢) سورة الممتحنة: ١٢.

نسرق، ولا نزني ولا نقتل أولادنا، ولا نأتي ببهتان نفتريه بين أيدينا وأرجلنا، ولا نعصيه في معروف ولا نغشش أزواجنا».

قالت: فبايعناه ثم انصرفنا، فقلت لامرأة من الأنصار: ارجعي فسلي رسول الله -ﷺ- ما غش أزواجنا؟ قالت: فسألته. فقال: **«تأخذ ماله فتحابي به غيره»**(١).

ومن نتائج هذه البيعة الفوز برضوان الله عز وجل ودخول جنته.

أم المنذر وغزوة بني قريظة:

بعد نصر الله للمسلمين في غزوة الأحزاب، أمر الله رسوله -ﷺ- أن يذهب إلى بني قريظة من يهود المدينة حيث أنهم خانوا العهد الذي كان بينهم وبين رسول الله -ﷺ- وظاهروا أعداء الله من قريش والأحزاب، وحاصر الرسول -ﷺ- بني قريظة خمسًا وعشرين ليلة، ونزلوا على حكم الصحابي سيد الأوس سعد بن معاذ -رضي الله عنه-، لأن بني قريظة حلفاء الأوس قبل الإسلام، وكان حكم سعد بن معاذ -رضي الله عنه- فيهم أن تقتل الرجال وتسبى النساء والأطفال وتقسم الأموال غنيمة.

وتم تنفيذ هذا الحكم العادل الذي شهد له رسول الله -ﷺ- أنه وافق حكم الله من فوق سبع سموات(٢).

وشهدت أم المنذر نهاية غدر يهود بني قريظة، وجاءها من يهمس في أذنها أن هناك من بني قريظة من يستنجد بها.. وذهبت حيث حُبس بنو قريظة.. فإذا برفاعة بن سموأل القرظي وكان صديقًا لأسرتها وأخيها، وتربى في بيتهم وديارهم، فلما رآها أمامه قال مستنجدًا: كلمي محمدًا في تركي فإن لي بكم حرمة وأنت إحدى أمهاتي، فتكون لكم عندي يوم القيامة.

---

(١) رواه أحمد بسنده في المسند وذكره صاحب أسد الغابة في الترجمة رقم (٥٠٠٧) والإصابة في معرفة الصحابة.

(٢) راجع كتابنا شهداء الصحابة مكتبة التوفيقية.

وذهبت أم المنذر -رضي الله عنها- إلى رسول الله -ﷺ- تشفع لرفاعة ووقفت أمام النبي -ﷺ- حائرة وقد عقد لسانها. فبادرها الرسول الكريم بقوله:

«مالك يا أم المنذر؟».

قالت: بأبي أنت وأمي يا رسول الله رفاعة بن سموال كان يغشانا -يدخل علينا ويخرج- وله بنا حرمة فهبه لي.

فقال لها -ﷺ-: **«نعم هو لك»**.

فقالت: إنه سيصلي ويأكل لحم الجمل.

«كناية عن إسلامه فاليهود يحرمون أكل لحوم الإبل».

فقال -ﷺ-: **«إن يُصلي فهو خير له وإن يثبت على دينه فهو شر له»**.

وأطلق رسول الله -ﷺ- سراحه، وأسلم رفاعة وحسن إسلامه.

وأطلق على رفاعة مولى أم المنذر، وحزن لذلك رفاعة وامتنع عن زيارة دارها، حتى علمت بذلك أم المنذر فأرسلت إليه وقالت: إني والله ما أنا لك بمولاة ولكني كلمت رسول الله فوهبك لي. فحقنت دمك وأنت على نسبك.

فعاد رفاعة يزور دارها.

ومن فضائل أم المنذر أن رسول الله -ﷺ- في غزوة بني قريظة، حين عرض عليه السبايا اختار جارية له من يهود بني قريظة وهي ريحانة، وعرض عليها الإسلام فأسلمت واختارها لنفسه ملك يمين ودخل بها في دار أم المنذر.. وقيل إن رسول الله -ﷺ- تزوجها، ولكن المشهور عند أهل السير والحديث أنها ملك يمين ومن سراريه -ﷺ-.

ومن فضائلها أن رسول الله -ﷺ- كان يخصها بالزيارة مع أصحابه ويأكل عندها، ويقول إن طعامها فيه بركة.

تقول أم المنذر -رضي الله عنها-: دخل عليَّ رسول الله -ﷺ- ومعه علي -عليه السلام-، وعليٌّ ناقه -أي فترة النقاهة من المرض-. ولنا دوالي معلقة، فقام

رسول الله -ﷺ- يأكل منها وقام على ليأكل، فطفق رسول الله -ﷺ- يقول لعلى: «مه إنك ناقة».

حتى كف على -عليه السلام-. قالت: وصنعت شعيراً وسلقًا، فجئت به رسول الله -ﷺ- فقال: «يا على أصب من هذا فهو أنفع لك»(١).

أم المنذر وبيعة الرضوان:

فى العام السادس الهجرى خرج رسول الله -ﷺ- ومعه الصحابة والصحابيات إلى البيت الحرام لأداء العمرة، ولكن قريش منعتهم من دخول مكة، وحصر المسلمون فى الحديبية، وأرسل رسول الله -ﷺ- الصحابى الجليل عثمان بن عفان إلى مكة كى يخبر أهلها أنهم قاصدون البيت الحرام لأداء العمرة، ولكن قريشًا رفضت دخول رسول الله -ﷺ- مكة، وأشيع لدى المسلمين أن عثمان بن عفان قد قتله المشركون، وقال النبى -ﷺ- لمن معه «لا نبرح حتى نناجز القوم».

ودعا الصحابة إلى البيعة، وسارع كل من معه من الصحابة رجالاً ونساءً إلى البيعة لله ورسوله على الموت، وتقبَّل الله البيعة المباركة تحت الشجرة ونزل قوله تعالى:

﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾(٢).

وكانت أم المنذر فيمن بايعن تحت الشجرة ونالت رضوان الله وبشارته لها بالجنة.

وقال لهم رسول الله -ﷺ-:

(١) أخرجه أبو داود فى كتاب الطب، والترمذى، وأحمد، فى مسنده، وابن ماجه فى سننه.
(٢) سورة الفتح: ١٨.

«لا يدخل النار أحد ممن بايع تحت الشجرة»(١).

وهكذا نالت شرف البيعتين الأولى وهى بيعة النساء، والثانية وهى بيعة الرضوان(٢).

وعاشت -رضي الله عنها- طائعة لله ورسوله حتى توفاها الله راضية مرضية وقد نالت شرف البشارة لها بالجنة فى حياتها الدنيا والفوز برضوان الله.

(١) رواه مسلم فى صحيحه كتاب الفضائل. والترمذى فى المناقب.
(٢) أسد الغابة والاستيعاب وغيرهما من كتب السيرة.



الفُرَيْعَةُ بنت مالك بن سنان

- رضي الله عنها -

ابنة شهيد أحد

ومن أهل بيعة الرضوان

Scanned by CamScanner

٦- الفُرَيْعَةُ بنت مالك الأنصارية - رضي الله عنها -

إنها صحابية جليلة من الأنصار أهل المدينة المنورة. . أبوها. . الصحابى الجليل شهيد غزوة أحد مالك بن سنان بن عبيد الأنصارى الخزرجى.

أخوها. . الصحابى الجليل سعد بن مالك بن سنان وكنيته المشهور بها أبو سعيد الخدرى، أحد فقهاء الصحابة المحدثين عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - تجاوزت الأحاديث التى رواها عن الألف حديث.

أخوها لأمها. . الصحابى المجاهد قتادة بن النعمان الأنصارى، أحد أبطال غزوة بدر الكبرى وأحد وكان من أبرع الرماة فى الجيش الإسلامى، وقد أصيب فى إحدى عينيه يوم أحد حتى تدلت على خده، فأتى النبى - صلى الله عليه وسلم -، فغمزها الرسول الكريم بيده فردها إلى مكانها، فكانت أصح من العين الأخرى.

اختها لأمها. . الصحابية أم سهل بنت النعمان الأنصارية.

أسلمت أسرة مالك بن سنان قبل الهجرة النبوية للمدينة المنورة، وشرف مالك بصحبة الحبيب - صلى الله عليه وسلم -.

وفى غزوة بدر الكبرى لم ينل مالك بن سنان شرف الجهاد، ولكنه قال بصدق الإيمان لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - قبل الخروج لغزوة أحد فى العام التالى.

يا رسول الله، نحن والله بين إحدى الحسنيين إما ان يظفرنا الله بهم فهذا الذى نريد، فيذلهم الله بنا، فتكون هذه وقعة مع وقعة بدر، فلا يبقى منهم إلا الشريد، والأخرى يا رسول الله يرزقنا الله الشهادة.

وفى المعركة. . أظهر مالك الشجاعة فقاتل قتال الأبطال، وحين خرج رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، وسال الدم على وجهه الشريف، تقدم مالك بن سنان وامتص الدم من وجه النبى - صلى الله عليه وسلم - وابتلعه، فقال له رسول الله - صلى الله عليه وسلم -:

«مجه».

فقال مالك: والله لا أمجه أبدًا.

وخالط دم رسول الله -ﷺ- دمه، وظل يقاتل المشركين حتى نال الشهادة فى تلك الغزوة وآخر عهده بالدنيا ملامسة وجه النبى -ﷺ- وآخر ما دخل جوفه دم رسول الله -ﷺ- فكان من شهداء أحد الذين دعا لهم رسول الله -ﷺ- وصلى عليهم رضوان الله عليهم أجمعين.

وفرح أبو سعيد الخدرى وكان غلامًا فى الثالثة عشرة من عمره يوم أحد ولم يشارك فى القتال لصغر سنه، وقد رده الرسول -ﷺ- مع بعض أقرانه، فرح بفوز أبيه بالشهادة وعاد إلى دارهم ليبشر أخته الفُريعة بذلك.

وعاشت تلك الأسرة المسلمة صابرة.. وقد تركهم أبوهم الشهيد دون مال ولا شىء من حطام الدنيا سوى إيمان بالله ورسوله، وكفى بها نعمة.

وتزوجت الفُريعة بنت مالك من الصحابى سهل بن رافع بن بشير الخزرجى، وعاشت معه حياة ملؤها السعادة والحب والإيمان، ولم يدم هذا الزواج طويلاً حتى قتل الزوج غدرًا بأيدى عبيدًا له أبقوا -أى فروا- خارج المدينة فخرج إليهم فلحقهم ولكنهم قتلوه.

وأرادت الفُريعة العودة إلى دار أهلها، لأن زوجها لم يترك لها نفقة أو دارًا لها تسكنها، وذهبت إلى رسول الله -ﷺ- تسأله فى أمرها.. فقال لها: «**نعم**». وحين همت بالانصراف من أمامه ناداها فقال:

«**كيف قلت؟**».

فقالت له مرة أخرى: أرجع إلى أهلى فى بنى خدرة فإن زوجى لم يتركنى فى مسكن يملكه ولا نفقة.

فقال: «**امكثى فى بيتك حتى يبلغ الكتاب أجله**».

قالت: فاعتددت فيه أربعة أشهر وعشرًا.

أى جلست فى مسكنها فترة العدة التى على المتوفى عنها زوجها.

وبعد شهور العدة تزوجها الصحابى سهل بن بشير بن عنبسة من بنى ظفر الأنصارى، وعاشت معه نعم الزوجة المسلمة، فكانت تحضر مجالس العلم فى المسجد النبوى وتستمع إلى أحاديث رسول الله -ﷺ-، فكانت من الحافظات الواعيات، الراويات للأحاديث النبوية التى سمعتها من رسول الله -ﷺ-، وسألها عثمان بن عفان فى فترة خلافته عن حكم الزوجة التى توفى عنها زوجها، فذكرت له ما قال لها رسول الله -ﷺ- أن تسكن بيتها حتى يبلغ الكتاب أجله، وعمل به أيضًا الفقهاء فى جميع أمصار المسلمين وأفتوا به.

وفى العام السادس الهجرى خرجت مع المسلمين بقيادة رسولهم -ﷺ- لأداء العمرة، ولكن قريش صدتهم عن دخول مكة لذلك، وحصروا فى الحديبية، وأرسل الرسول الكريم -ﷺ- عثمان بن عفان لمفاوضة قريش فطال مكثه عندهم وأشيع أنهم قتلوه، وبايع المسلمون رسول الله -ﷺ- على القتال حتى الموت تحت الشجرة، وكانت الفُريعة ممن بايعن وشهدن هذه البيعة مع من حضر من النساء، ونالت البشارة بالجنة ورضوان الله وبشارة رسول الله -ﷺ- لأصحاب بيعة الرضوان: «**لا يدخل النار إن شاء الله من أصحاب الشجرة أحد، الذين بايعوا تحتها**».

رضى الله عنها وأرضاها.



أسماء بنت يزيد بن السكن الأنصارية

- رضي الله عنها -

خطيبة النساء وشاركت المسلمين في بيعة الرضوان تحت الشجرة.

٧- خطيبة النساء أسماء بنت يزيد - رضي الله عنها -

صحابية فاضلة أسلمت قبل الهجرة النبوية، فهى من بنى عبد الأشهل الذين أسلموا جميعًا يوم أسلم الصحابى الجليل سعد بن معاذ - رضي الله عنه -، فقد روى أنه يوم إسلامه ما أمسى دار فى بنى عبد الأشهل رجل ولامرأة إلا وأسلم.

فمن هى أسماء بنت يزيد؟

هى أسماء بنت يزيد بن السكن بن رافع بن امرئ القيس الأنصارية الأوسية من بنى عبد الأشهل.

كنيتها أم سلمة وأيضًا أم عامر.

جدها هو امرؤ القيس بن زيد بن عبد الأشهل وهو جد الصحابى سعد ابن معاذ - رضي الله عنه -.

نشأتها:

نشأت أسماء بنت يزيد فى أسرة مؤمنة نالوا شرف الشهادة فى سبيل الله.

فأبوها: يزيد بن السكن الأنصارى استشهد يوم أحد مع ابنه عامر بن يزيد - رضي الله عنهما -.

وعمها: زياد بن السكن الأنصارى نال شرف الشهادة أيضًا يوم أحد، ومات على قدم النبى - صلى الله عليه وسلم - بعد أن أثخنته الجراح وقاتل قتال الأبطال.

وابن عمها: عمارة بن زياد السكنى نال الشهادة يوم أحد أيضًا، بعد أن أصيب أربعة عشر جرحًا.

وهكذا نالت هذه الأسرة الكريمة شرف استشهاد أربعة من رجالها فى معركة واحدة، ورغم استشهاد الأب والأخ والعم وابن العم خرجت أسماء بنت يزيد تسأل عن رسول الله -ﷺ- عقب المعركة التى استشهد فيها أهلها، فلما رأته معافًا قالت: كل مصيبة بعدك جلل[١].

وشهدت أسماء بنت يزيد -رضي الله عنها- الكثير من الغزوات مع رسول الله -ﷺ-، فشاركت فى غزوة الخندق بإطعام المسلمين ويوم بيعة الرضوان وغزوة خيبر، وبعد وفاة رسول الله -ﷺ- شهدت غزوة اليرموك فكانت تسقى الجرحى، بل وقاتلت يوم اليرموك وقتلت يومها تسعة من الروم بعمود فسطاطها[٢].

فصاحتها وعلمها:

رغم شجاعتها فى المعارك فقد كانت ذات بلاغة وفصاحة شهد لها بذلك رسول الله -ﷺ-، حتى سميت بخطيبة النساء.

فقد وفدت على رسول الله -ﷺ- فى يوم بيعة النساء بالمدينة فكانت من أوائل من بايعن الرسول -ﷺ- من النساء هى وأم سعد بن معاذ وحواء بنت يزيد السكنى[٣].

وذكر أصحاب السيرة أن أسماء جاءت النبى -ﷺ- ذات يوم وهو جالس مع أصحابه فقالت:

بأبى أنت وأمى يا رسول الله، إنى رسول من ورائى من جماعة النساء المسلمين كلهن يقلن قولى، وعلى مثل رأيى.. إن الله تعالى بعثك إلى الرجال والنساء، فآمنا بك واتبعناك، ونحن معاشر النساء مقصورات مخدرات قواعد بيوت، ومواضع شهوات الرجال وحاملات أولادهم، وإن الرجال

(١) جلل: أى بسيطة.
(٢) الإصابة. لابن حجر وغيره وسير أعلام النبلاء.
(٣) طبقات ابن سعد.

فضلوا بالجمعة والجماعات، وشهود الجنائز والجهاد فى سبيل الله، وإذا خرجوا إلى الجهاد حفظنا لهم أموالهم، وربينا أولادهم، أفنشاركهم فى الأجر يا رسول الله؟

فالتفت رسول الله -ﷺ- بوجهه إلى أصحابه فقال:

«هل سمعتم مقالة امرأة أحسن سؤالاً عن دينها من هذه؟».

فقالوا: بلى والله يا رسول الله، ما ظننا أن امرأةً تهتدى إلى مثل هذا.

فالتفت النبى -ﷺ- إليها فقال:

«انصرفى يا أسماء وأعلمى من وراءك من النساء أن حسن تبعل إحداكن لزوجها وطلبها لمرضاته واتباعها لموافقته، يعدل كل ما ذكرت للرجال»[١].

وانصرفت أسماء بنت يزيد فرحة بذلك الأجر العظيم لها ولمن وراءها من النساء إلى يوم الدين.

وكانت أسماء كثيرة السؤال فى طلب العلم، وهذا أوضحته لناكتب الحديث أن رسول الله -ﷺ- مر على نساء من المسلمات ومعهن أسماء بنت يزيد فسلم عليهن وقال:

«إياكن وكفر المنعمين».

وكانت أجرهن سؤالاً أسماء بنت يزيد فقالت:

يا رسول الله، وما كفران المنعمين.

قال: **«لعل إحداكن تطول أيمتُها بين أبويها، ثم يرزقها الله زوجًا، ويرزقها منه ولدًا، فتغضب فتكفر فتقول: ما رأيت منك خيرًا قط»**[٢].

ولم يمنعها الحياء فى الدين أن تسأل رسول الله -ﷺ- عن طهر المرأة

(١) أسد الغابة. الترجم رقم (٦٧١١).
(٢) رواه البخارى فى الأدب المفرد فى صحيحه وأحمد فى مسنده.

من الحيض، وهذا ما روته السيدة عائشة أم المؤمنين قالت: إن أسماء بنت يزيد سألت النبى -ﷺ- عن الغُسل من الحيض فقال: **«تأخذ سدرتها -ورق النبق- وماءها فتغسل رأسها وتدلكه دلكًا شديدًا حتى يبلغ الماء شؤون رأسها ثم تأخذ فرصة ممسكة -قطنة مطيبة بالمسك- فتطهر بها»**.

قالت أسماء: كيف أتطهر بها؟

قال -ﷺ-: **«سبحان الله العظيم تطهرين»**.

قالت عائشة لها: تتبعين آثار الدم[(١)].

وشهد رسول الله -ﷺ- لقومها بالخير حين مر على بيوتهم يومًا فقال: **«ماذا فى هذه الدور من الخير! هذه خير دور الأنصار»**[(٢)].

وقد جعل الله البركة فى طعامها الذى قدمته لرسول الله -ﷺ- حين قدم وصلى فى مسجدهم المغرب ذات يوم، فجاءت أسماء بلحم وأرغفة وقالت: تعشى بأبى وأمى. فقال لأصحابه: **«كلوا باسم الله»**.

فأكلوا جميعًا، وما زال الطعام كما هو، وكان الذين طعموا منه أربعون رجلًا[(٣)].

ويوم الخندق قدمت إلى رسول الله -ﷺ- طعام من تمر وسمن وهو عند أم سلمة، فأكلت منه أم المؤمنين أم سلمة، ثم خرج رسول الله -ﷺ- فنادى مناديه إلى كل من فى الخندق لتناول العشاء من ذلك الطعام الذى لا يكفى إلا لفردين، فأكل أهل الخندق وشبعوا والطعام كما هو.

حكم الإسلام فى المطلقة:

كان لها السبق والفضل أيضًا أن نزل قرآن يتلى إلى يوم القيامة وحكم

(١) رواه الدارمى دون ذكر اسم الصحابية أسماء ولكن كتب السيرة ذكرتها صراحة بأنها السائلة.
(٢) طبقات ابن سعد.
(٣) الطبقات لابن سعد.

من أحكام الدين، وذلك حين طلقها زوجها، ولم يكن للمطلقة عدة فأنزل الله قوله تعالى: ﴿ **وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلاثَةَ قُرُوءٍ** ﴾[(١)].

فكانت أول من طبق عليها هذا الحكم القرآنى.

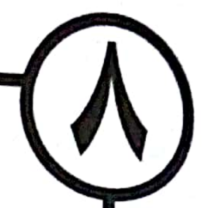
وقد روت أسماء بنت يزيد أحاديث نبوية كثيرة عن رسول الله -ﷺ- وهذا يدل على سعة علمها وصحبتها، فهى أكثر المسلمات الصحابيات رواية لحديث رسول الله -ﷺ- بعد أم المؤمنين عائشة وأم سلمة -رضي الله عنهن-[(٢)].

وفاتها:

ماتت فى خلافة يزيد بن معاوية وكانت قد شهدت غزوة اليرموك وشاركت فيها، وعاشت بالشام بعدها دهرًا كما ذكر ذلك الذهبى وابن حجر وقال الذهبى فى كتابه سير أعلام النبلاء أنها سكنت دمشق وقبر أم سلمة الذى بمقبرة باب الصغير هو قبرها إن شاء الله.

ولأنها شهدت بيعة الرضوان فى الحديبية فقد نالت البشارة بالجنة مثل من كان معها من النساء والرجال -رضي الله عنهم- أجمعين-.

(١) سورة البقرة: ٢٢٨.
(٢) ذكر أبو نعيم فى كتابه حلية الأولياء أن أسماء كانت تخدم رسول الله -ﷺ- مما زادها علمًا وفقهًا وبركة.



أم هشام بنت حارثة

- رضي الله عنها -

الحافظة المحدثة ابنة أحد أبطال غزوة حنين

٨- أم هشام بنت حارثة -رضي الله عنها-

صحابية من الأنصار من بني النجار، نشأت في بيت يفيض بالكرم والجود والسخاء والعطاء الوافر، فلقد كان أبوها أحد الصحابة الكرام من السابقين إلى الإسلام، قدم بيوته إلى رسول الله -ﷺ- حين قدم للمدينة المنورة وبنى مسجده فيها، إنه الصحابي حارثة بن النعمان -رضي الله عنه-.

قال عنه رسول الله -ﷺ-: «**لقد استحييت من حارثة بن النعمان مما يتحول لنا عن منازله**»(١).

فكلما احتاج رسول الله -ﷺ- إلى دار يضمها إلى بيوته حول المسجد تنازل له حارثة عن أحد منازله عن طيب خاطر، وقد بُشِّر هذا الصحابي بالجنة أيضًا في حياته، فقد أخرج أحمد بسنده في مسنده عن السيدة عائشة -رضي الله عنها- قالت: قال رسول الله -ﷺ-: «**دخلت الجنة فسمعت قراءة. فقلت: من هذا؟**».

قيل: حارثة.

فقال النبي -ﷺ-: «**كذاكم البر**».

أي أنه كان بارًا بأمه.

قال عنه الذهبي في السير «كان دينًا خيّرًا بارًا بأمه».

وهو أيضًا أحد الأبطال الذين وقفوا مع رسول الله -ﷺ- يوم غزوة حنين ولم يفر مع الذين فروا يومها، فكان ضمن المائة الصابرة التي صمدت وتحقق لها النصر. وتكفل الله بأرزاقهم في الجنة، كما أخبر جبريل -عليه السلام- النبي -ﷺ-(٢).

---

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي.
(٢) سير أعلام النبلاء للذهبي.

وأم الصحابية أم هشام هى أم خـالد بنت خالد بن يعيش الأنصارية من بنى مالك، بايعت النبى -ﷺ- فى بيعة النساء.

وأخوات أم هشام سودة وعمـرة وأم كلثوم قد أسلمن وبايعن رسول الله -ﷺ- بالمدينة.

وعاشت أم هـشام فى هذا الجو الإيمانـى الأسرى بجوار بيـوت النبى -ﷺ-، فقد كان عشيرتهـا بنو النجار يقدمون الطعام لرسول الله -ﷺ- حين مقـامه فى دار أبى أيوب الأنصارى قرابة تـسعة أشهـر وكانت هى ممن يذهب بالطعام إليه.

ومما يؤثر عنهـا أنهـا حفـظت سورة «ق» من رسـول الله -ﷺ- وهو يقرأها على المنبر فى صلاة الجمعـة، فقالت: لقد كان تنورُنا وتنورُ رسول الله -ﷺ- واحدًا سنتين، وما أخذت «ق والقرآن المجيد» إلا من لسان رسول الله -ﷺ-، كان رسول الله -ﷺ- يقرأ بها كل جمعة إذا خطب الناس(١).

وكانـت -رضي الله عنها- من النسـاء اللاتـى روين الحـديـث عن رسـول الله -ﷺ-.

وكذلك شهدت بيعة الرضوان فى العام السادس الهجرى. حين خرجت مع رسول الله -ﷺ- والصحابة والصـحابيات لأداء العمـرة وصدتهم قريش عن البيت الحرام، وكـانوا قد حُصِرُوا فى الحديبية وعـددهم ألف وأربعمائة، فحضـرت البيعة المبـاركة تحت الشجرة فنالت البـشارة بالجنة كما أخـبر بذلك رسول الله -ﷺ-: «**لا يدخل النار أحد ممن بايع تحت الشجرة**»(٢).

وقال لهم أيضًا: «**أنتم خير أهل الأرض...**»(٣).

-رضي الله عنهم أجمعين-.

---

(١) رواه مسلم فى صحيحه كتاب الجمعة. (٢) سبق تخريجه.

(٣) أخرجه البخارى عن الصحابى جابر بن عبد الله -رضي الله عنه- ونصه: «أنتم خير أهل الأرض، وكنا ألفًا وأربعمائة، ولو كنت أبصر اليوم لأريتكم مكان الشجرة».
وأخرجه البخـارى أيضًا قوله -ﷺ-: «ليدخلن الجنة من بايع تحت الشـجرة إلا صاحب الجمل الأحمر». وصـاحب الجمل الأحمر هو أحد المنافقين ويسـمى الجد بن قيس وكان حاضرًا يبحث عن جمله الأحمر.

الباب الثالث

نساء بشرهن النبى -صلى الله عليه وسلم- بالجنة

(٩) أم ورقة الأنصارية.

(١٠) أم سليم بنت ملحان.

(١١) فاطمة بنت أسد.

(١٢) أم حرام بنت ملحان.

(١٣) أم عمارة نسيبة بنت كعب.

(١٤) سمية بنت خياط.

(١٥) أم أيمن بركة بنت ثعلبة الحبشية.

-رضي الله عنهن جميعًا-



أم ورقة الأنصارية

- رضي الله عنها -

الشهيدة القارئة العابدة

٩- أم ورقة الأنصارية -رضي الله عنها-

ما زلنا مع صحابيات الأنصار المبشرات بالجنة، ونحن الآن مع سيرة الصحابية الفاضلة.. أم ورقة بنت عبد الله بن الحارث الأنصارية من بنى النجار.

وقد نزل رسول الله -ﷺ- حين قدم المدينة المنورة فى بنى النجار قرابة تسعة أشهر، وقد قاموا على ضيافته -ﷺ- على أحسن وجه.

وأم ورقة الأنصارية من السابقات إلى الإسلام، وإحدى الراويات لأحاديث رسول الله -ﷺ-، وحفظت الكثير من القرآن حتى جمعته، وأتقنت حفظه وتلاوته وتدبر معانيه.

واتخذت من دارها بالمدينة منزلاً ومؤذنًا بعد أن أذن لها رسول الله -ﷺ- بذلك فكانت تؤم النساء فى الصلاة المكتوبة فى هذا المسجد(١).

وحين دعى المنادى للجهاد والخروج فى غزوة بدر الكبرى أرادت أم ورقة الأنصارية الخروج مع المسلمين، وقالت لرسول الله -ﷺ-: يا رسول الله ائذن لى فى الغزو معك أمرِّض مرضاكم لعلَّ الله أن يرزقنى الشهادة.

فقال لها: «**قرِّى فى بيتك فإن الله تعالى يرزقك الشهادة**»(٢).

واستجابت أم ورقة لرسول الله -ﷺ- وعادت إلى بيتها كما أمرها.

من فضائلها:

أن رسول الله -ﷺ- كان يزورها فى بيتها مع أصحابه رضوان الله عليهم ويقول لهم: «**انطلقوا بنا نزور الشهيدة**»(٣).

---

(١) الإصابة لابن حجر.
(٢) أخرجه أبو داود فى سننه.
(٣) أسد الغابة.

وأصبحت أم ورقة تسمى الشهيدة القارئة.

وهكذا عاشت حياتها طائعة لله ورسوله، وحظيت بشرف زيارة النبى -ﷺ- دومًا لها فى بيتها.

وبقى أن تنال الشهادة وهى فى بيتها كما أخبر بذلك رسول الله -ﷺ-؟!

تحكى لنا كتب السيرة والتاريخ أن أم ورقة الأنصارية عاشت حتى خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب الذى كان يزورها كما كان يفعل رسول الله -ﷺ-، وكان عند أم ورقة عبدان غلامًا وجارية، وعدتهما بالعتق بعد موتها، ولكن الغلام والجارية استعجلا موتها فقتلاها ذات ليلة وهربا، وعلم بذلك عمر -رضي الله عنه- وذلك حين لم يسمع قراءتها للقرآن بالليل كما تعود على ذلك فقال حين أصبح:

والله ما سمعت قراءة خالتى أم ورقة البارحة!!

فدخل دارها ووجدها قد قتلت ولفت فى قطيفة فى جانب البيت فقال: صدق الله ورسوله.

وأعلن عمر -رضي الله عنه- خبر وفاتها على المسلمين وأمر بإحضار القاتلين اللذين اعترفا بالجريمة وأقيما عليهما الحد قتلاً وصلبًا، فكانا أول المصلوبين بالمدينة.

وهكذا نالت الشهادة كما وعدها رسول الله -ﷺ-. وصدق الله ورسوله.

ورضى الله عن أم ورقة الأنصارية وأسكنها فسيح جناته.



أم سليم بنت ملحان

- رضي الله عنها -

الصحابية المجاهدة الصابرة ذات الشجاعة النادرة

١٠- أم سليم بنت ملحان -رضي الله عنها-

إن القارئ لسيرة رسول الله -ﷺ- يعرف الصحابى أنس بن مالك خادم الرسول الكريم، لما قدم الرسول -ﷺ- المدينة المنورة مهاجرًا إليها من مكة المكرمة، قابلته أم أنس معها ابنها أنس صغير السن فقالت:

يا رسول الله هذا أنس أتيتك به يخدمك، فادع الله له.

قال رسول الله -ﷺ-: «**اللهم أكثر ماله وولده**»(١).

وظل أنس بن مالك -رضي الله عنه- قرابة عشر سنين يخدم رسول الله -ﷺ-، فنال البركة والرعاية النبوية.

أم أنس بن مالك هى نفسها، أم سليم بنت ملحان.. اسمها سهلة وقيل رُميثة، وتنادى بالغميصاء والرميصاء واشتهرت بأم سليم بنت ملحان بن خالد بن زيد بن حرام بن جندب من بنى النجار.

إسلامها:

أسلمت قديمًا وبايعت رسول الله -ﷺ-، وكان زوجها مالك بن النضر أبو أنس غائبًا حين أسلمت، وحين علم بإسلامها غضب لذلك وقال لها: «**أصبوت**».

قالت: ما صبوت ولكنى آمنت.

وكان ابنها أنس صغير السن فأخذت تلقنه الشهادتين، ونطق أنس بالشهادتين، فأخذ زوجها الغضب وقال لها:

---

(١) دلائل النبوة للبيهقى، وكان أنس -رضي الله عنه- صبيًا لم يبلغ الحلم. وأخوها هو الشهيد حرام ابن ملحان شهد بدر وأحد وقتل يوم بئر معونة غدرًا عام ٤هـ وهو صاحب المقولة المشهورة: فزت ورب الكعبة حين طعنه قاتله بالحربة من خلفه فخرجت من صدره -رضي الله عنه-.

لا تتعدى على ابنى.

فقالت: إنى لا أفسده بل أرشده.

وأصر الزوج على كفره، فمات على الشرك قتيلاً على يد عدو له فى رحلته إلى الشام.

وحين علمت الزوجة المؤمنة بمقتل زوجها على الكفر قالت: لا حرج، لا أفطم أنسًا حتى يدع الثدى ولا أتزوج حتى يأمرنى أنس، ويقول قد قضيت الذى عليك»(١).

زواجها بعد إسلامها:

عكفت أم سليم على تربية ابنها أنس بن مالك، بل ودفعته إلى رسول الله -ﷺ- ليخدمه فنال ذلك الشرف، ونهل من نبع النبوة.

وتقدم لخطبتها أبو طلحة الأنصارى وكان ما زال على كفره لم يدخل الإسلام قلبه، فرفضته أم سليم، فكرر طلبه مرة أخرى، فقالت له:

يا أبا طلحة ما مثلك يرد، ولكنك امرؤ كافر، وأنا امرأة مسلمة لا يصلح لى أن أتزوجك.

قال أبو طلحة: فمن لى بذلك.

قالت: لك بذلك رسول الله -ﷺ-.

وانطلق طلحة يريد النبى -ﷺ- وهو جالس فى أصحابه، فلما رآه -ﷺ- قال:

«جاءكم أبو طلحة غرَّةُ الإسلام بين عينيه».

وأخبر أبو طلحة رسول الله -ﷺ- بما قالت له أم سليم.

(١) سير أعلام النبلاء للذهبى باختصار.

فتزوجها على ذلك، عندها قالت أم سليم لابنها أنس: يا أنس قم فزوِّج أبا طلحة.

وتزوج أبو طلحة الأنصارى أم سليم بعد إسلامه -ؓ-، فكان مهرها إسلام أبو طلحة فهو أكرم مهر(١).

موقف من حياتها مع أبى طلحة الأنصارى:

سجل التاريخ الإسلامى لأم سليم مواقف عديدة، أهمها ما صنعته مع زوجها أبى طلحة الأنصارى قبل زواجها منه وإسلامه على يديها، ثم هذه القصة الشهيرة التى دخلت بها أم سليم التاريخ الإسلامى قدوة يضرب بها المثل للمرأة المسلمة فى الصبر والاحتساب وقوة الإيمان، فقد رزقهما الله طفلاً أسموه أبا عمير، ومرض الطفل مثل بقية الأطفال، ولكن مرضه انتهى بوفاته وكان أبو طلحة -ؓ- خارج البيت، وتلقت أم سليم وقعة وفاة الطفل بالصبر والاحتساب فقالت:

إنا لله وإنا إليه راجعون.

ثم سجته فى فراشه وقالت لمن حولها لا تخبروا أبا طلحة حتى أخبره، ورجع أبو طلحة وسأل عن حال الطفل، فقالت له:

(١) سير أعلام النبلاء وحلية الأولياء وزوجها صحابى جليل وهو أبو طلحة زيد بن سهل الأنصارى شهد بدر والمشاهد مع رسول الله -ﷺ- وقيل توفى فى خلافة عثمان بن عفان -ؓ- عام ٣٤هـ وقيل عاش بعد وفاة رسول الله -ﷺ- ٤٠ عامًا صائمًا لا يفطر إلا فى العيدين والمرض والسفر. قال عنه رسول الله -ﷺ- **«صوت أبى طلحة فى الجيش خير من فئة»** وقال أيضًا: **«لصوت أبى طلحة فى الجيش خير من ألف رجل»** رواه أحمد والحاكم عن أنس بن مالك. وروى عن النبى -ﷺ- أكثر من عشرين حديثًا، وكان أكثر أنصارى بالمدينة مالاً من نخل فقال: يا رسول الله إن أحب أموالى إلى بيرحاء، وإنها لصدقة لله، أرجو برّها وذخرها، فضعها يا رسول الله حيث أراك الله، فقال -ﷺ-: **«بخ! ذلك مال رابح، وإنى أرى أن تجعلها فى الأقربين»** رواه البخارى فى الزكاة، ومسلم وأبو داود والترمذى والنسائى.

هو أسكن مما كان.

وقربت له العشاء فأكل ثم تهيأت له فأصاب منها ما يصيب الرجل من زوجته، ولما أذن المؤذن لصلاة الفجر قالت أم سليم لزوجها:

يا أبا طلحة، ألم تر إلى آل أبى فلان استعاروا عارية، فمنعوها، وطُلبت منهم، فشق عليهم.

فقال لها: ما أنصفوا.

قالت: فإن ابنك كان عارية من الله، فقبضه، فاسترجع وحمد الله.

فلما أصبح غدا إلى رسول الله -ﷺ- فلما رآه قال: **«بارك الله لكما فى ليلتكما»** فحملت بعبد الله بن أبى طلحة، فولدت ليلاً، فأرسلت الطفل مع أنس إلى رسول الله -ﷺ- ومعه تمرات عجوة فقال له:

يا رسول الله ولدت أم سليم الليلة.

فحنكه رسول الله -ﷺ- ببعض التمرات وسماه «عبد الله»(١).

وولد لهذا الغلام سبع بنين كلهم حفظوا القرآن، وذلك ببركة دعاء الرسول -ﷺ- لأم سليم وزوجها(٢).

من فضائلها:

كان رسول الله -ﷺ- كثيرًا ما يزور بيتها، ويدعو لها، وكان يقيل عندها أى ينام بعد الظهر فترة القيلولة، وتروى هى فيما أخرجه مسلم فى صحيحه قالت: وكان يقيل عندى على نطع -فراش من جلد- وكان معراقًا -ﷺ- أى كثير العرق- فجعلت أسلت العرق فى قارورة، فاستيقظ. فقال: **«ما تجعلين؟»**.

---

(١) أخرجه البخارى ومسلم وذكرناه هنا باختصار وتصرف دون إخلال والحديث رواه أنس -رضي الله عنه-.

(٢) سير أعلام النبلاء للذهبى.

قلت: أريد أن أدوف بعرقك طيبى(١).

وروى ثابت عن أنس قال: قال النبى -ﷺ-: **«دخلت الجنة، فسمعت خشفة بين يدى فإذا أنا بالغميصاء بنت ملحان»**(٢).

وخلطت أم سليم عرق النبى -ﷺ- بالمسك، واحتفظت به تهبه لمن شاءت.

وقال أنس بن مالك -رضي الله عنه-: إن النبى -ﷺ- كان يزور أم سليم، فتحفه بالشىء تصنعه له، وأخ لى أصغر منى يكنى أبا عمير، فزارنا يومًا فقال: ما لى أرى أبا عمير خائر النفس؟ قالت: ماتت صعوة له كان يلعب بها -أى عصفور صغير- فجعل النبى -ﷺ- يمسح رأسه ويقول: **«يا أبا عمير ما فعل النغير؟»** رواه أحمد فى مسنده وأبو داود وابن سعد فى الطبقات.

وقال أنس: لم يكن رسول الله -ﷺ- يدخل بيتًا غير بيت أم سليم، فقيل له: فقال: **«إنى أرحمها قتل أخوها معى»**(٣).

وروى عنها أنها قالت: لقد دعا إلىَّ رسول الله -ﷺ- حتى ما أريد زيادة.

وكانت -رضي الله عنها- كثيرة السؤال فى دين الله، وكان -ﷺ- يعلمها أمور الدين إذا زارها فى بيتها، قال أنس بن مالك -رضي الله عنه-: زار رسول الله -ﷺ- أم سليم فصلى فى بيتها صلاة تطوع، وقال: **«يا أم سليم إذا صليت المكتوبة فقولى: سبحان الله عشرًا، والحمد لله عشرًا والله أكبر عشرًا، ثم سلى الله ما شئت، فإنه يقال لك نعم نعم نعم»**(٤).

---

(١) رواه مسلم فى الفضائل، وأحمد فى مسنده وابن سعد فى الطبقات.

(٢) رواه مسلم فى فضائل الصحابة، وابن سعد فى طبقاته، ومعنى الخشفة هى الحركة والمشى بصوت.

(٣) رواه مسلم فى فضائل الصحابة. وأخوها هو حرام بن ملحان قتل يوم بئر معونة كما قدمنا من قبل.

(٤) طبقات ابن سعد.

وكانت تخرج مع جيش الإسلام فى عهد رسول الله -ﷺ- مع نسوة معها يسقين الماء ويداوين الجرحى، وقد روت عن رسول الله -ﷺ- أربعة عشر حديثًا، انفرد البخارى بحديث فى صحيحه ومسلم بحديثين[1]. وروى عنها ابنها أنس وابن عباس وزيد بن ثابت -رضي الله عنهم- أجمعين-.

وذكر ابن سعد فى طبقاته أن النبى -ﷺ- دخل على أم سليم، وقربة معلقة فشرب منها قائمًا، فقامت إلى فِيِّ السقاء وأمسكته عندها[2].

قال النووى إن أم سليم إنما قطعت فم القربة، لتحفظ موضع فم الرسول -ﷺ-، وتتبرك به وتصونه عن الابتذال.

هكذا كانت السيرة العطرة لأم سليم المرأة الصابرة المؤمنة التى كانت سببًا فى إسلام زوجها أبى طلحة، وأدخلت ابنها أنس مدرسة النبوة، وجاهدت مع رسول الله -ﷺ- فى الغزوات، وتعلمت من رسول الله -ﷺ- الكثير، ونالت البشارة بالجنة فيما رواه مسلم فى صحيحه عن رسول الله -ﷺ-: «**رأيتنى دخلت الجنة فإذا أنا بالرميصاء امرأة أبى طلحة وسمعت خشفة، فقلت: من هذا؟ فقال: هذا بلال**»[3].

-رضي الله عنها وأرضاها-.



(١) سير أعلام النبلاء.

(٢) رواه أحمد فى مسنده وذكر الذهبى فى سيد أعلام النبلاء.

(٣) رواه البخارى فى صحيحه بلفظ «دخلت الجنة فسمعت خشفة بين يدى، فإذا أنا بالغميصاء بنت ملحان» فى باب فضائل أصحاب النبى -ﷺ-.



فاطمة بنت أسد

-رضي الله عنها-

زوجة عم النبى -ﷺ-

أبى طالب وأم الإمام على

-كرم الله وجهه-

١١- فاطمة بنت أسد
الأم الثانية لرسول الله -ﷺ-

إنها صحابية من نساء أهل مكة، تلتقى مع رسول الله -ﷺ- فى جده هاشم.

زوجها عم النبى -ﷺ- أبو طالب.

ابنها الإمام على بن أبى طالب -كرم الله وجهه-.

وابنها الشهيد الطيار جعفر بن أبى طالب أحد امراء جيش مؤتة الذى دافع عن راية الإسلام حتى قطعت يداه ونال الشهادة فأبدله الله جناحين من ذهب فى الجنة(١).

أم زوج السيدة فاطمة بنت محمد -ﷺ- جدة سيدى شباب أهل الجنة الحسن والحسين أولاد الإمام على بن أبى طالب من السيدة فاطمة -رضي الله عنها-(٢).

رعايتها لرسول الله -ﷺ-:

ولأنها كانت زوجة عم النبى -ﷺ- وقد تكفل برعايته بعد وفاة الجد عبد المطلب، فقد عاش رسول الله -ﷺ- مع أولادها وتحت رعايتها، رأت فاطمة بنت أسد البركة تحل على بيتها وأولادها فى وجود اليتيم ابن أخى زوجها محمد بن عبد الله -ﷺ-، فكان أبو طالب إذا أراد أن يقدم الطعام

---

(١) انظر كتابنا شهداء الصحابة الناشر مكتبة التوفيقية.

(٢) ذكر الإمام الذهبى نسبها فى سير أعلام النبلاء فقال: فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف بن قُصى الهاشمية والدة الإمام على بن أبى طالب هى حماة فاطمة من المهاجرات الأوائل وهى أول هاشمية ولدت هاشمى.

لأطفاله قال لهم: انتظروا حتى يأتى ابنى محمد، فيأكل معكم، وقد رأت زوجته فاطمة أن الطعام إذا قدم لأولادها فى غيبة محمد -ﷺ- لا يشبعهم، فادركت أن البركة فى هذا اليتيم المبارك من الله عز وجل، فكانت لا تقدم لبنًا أو طعامًا إلا إذا أكل منه رسول الله -ﷺ- وأحسنت السيدة فاطمة بنت أسد لرسول الله -ﷺ- وهو طفل صغير ترعاه بعد وفاة أمه وجده وظلت ترعاه حتى تزوج السيدة خديجة بنت خويلد -ؓ-.

قال عنها -ﷺ-: **«إنه لم يكن أحد بعد أبى طالب أبرَّ بى منها»**[(١)].

إسلامها وهجرتها:

أسلمت قديمًا فى مكة، ثم هاجرت بعد رسول الله -ﷺ- إلى المدينة فنالت أجر الهجرة فى سبيل الله عز وجل[(٢)].

وعاشت بالمدينة المنورة وحين تزوج ابنها علىٌّ بن أبى طالب من فاطمة بنت محمد -ﷺ- كانت نعم أم الزوج لفاطمة -عليها السلام- زوجة ابنها وابنة عمه، فقد قال لها ابنها على كرم الله وجهه: اكفى فاطمة بنت رسول الله -ﷺ- سقاية الماء، والذهاب فى الحاجة، وتكفيك خدمه الداخل الطحن والعجن[(٣)].

وكان رسول الله -ﷺ- يزورها ويقيل عندها، ويرسل إليها بالهدايا.

ومن مناقبها أنها أول هاشمية ولدت خليفة وأول هاشمية ولدت لهاشمى، وبعدها كانت السيدة فاطمة بنت رسول الله -ﷺ- ثم امرأة الخليفة هارون الرشيد «زبيدة».

---

(١) رواه الطبرانى فى الأوسط وغيره.
(٢) الاستيعاب.
(٣) تاريخ الإسلام للذهبى، مجمع الزوائد.

وفاتها وبشارتها بالجنة:

ولمكانة السيدة فاطمة بنت أسد فى نفوس المسلمين ومكانتها عند رسول الله -ﷺ-، فقد كفنها فى قميصه حين توفيت، ونزل قبرها واضطجع فيه قبلها فقالوا له: لما رأيناك صنعت هذا؟.

فقال -ﷺ-: **«إنه لم يكن أحد بعد أبى طالب أبرَّ بى منها، إنما ألبستُها قميصى لتكْسى من حلل الجنة، واضطجعت معها ليهون عليها»**[(١)].

ولم ينزل النبى -ﷺ- فى قبر أحد إلا خمسة قبور ثلاث نسوة ورجلين.. قبر خديجة بنت خويلد -ؓ-، بمكة وقبر ابن خديجة وقبر عبد الله بن المزنى، وقبر أم رومان زوجة أبى بكر الصديق وأم عائشة زوجته -ؓ- وقبر فاطمة بنت أسد. كلهم دفنوا بالمدينة سوى خديجة -ؓ- بمكة.

وحين اضطجع رسول الله -ﷺ- فى قبرها قال: **«الله الذى يحيى ويميت وهو حىٌّ لا يموت اغفر لأمى فاطمة بنت أسد، ولقنها حُجتها ووسع عليها مدخلها بحق نبيك والأنبياء الذين من قبلى فإنك أرحم الراحمين»**[(٢)] ثم صلى عليها وكبر أربعة تكبيرات وأدخلها اللحد هو والعباس وأبو بكر الصديق -ؓ- أجمعين.

وقال أيضًا عند موتها -ﷺ-:

«رحمك الله يا أمى، كنت بعد أمى تجوعين وتشبعينى، وتعرين وتكسينى، وتمنعين نفسك طيبًا وتطعمينى تريدى بذلك وجه الله والدار الآخرة»[(٣)].

---

(١) ذكره الإمام الذهبى فى سير أعلام النبلاء عن عبد البر الذى رواه فى الاستيعاب وذكره الهيثمى فى مجمع الزوائد ورواه الطبرانى فى الأوسط وقال: فيه سعدان بن الوليد ولم أعرفه وبقية رجاله ثقات.
(٢) ذكره صاحب مجمع الزوائد للهيثمى.
(٣) المصدر السابق والطبرانى بسنده.

وقال القرطبى فى التذكرة إن الله سبحانه وتعالى خص الرسول الكريم -ﷺ- بأنه لا يضغط فى قبره، وقد سلمت فاطمة بنت أسد من ضغط القبر ببركته -ﷺ- حيث اضطجع -عليه الصلاة والسلام- فى قبرها. والله أعلم.

-رضي الله عنها وأرضاها- وأسكنها فسيح جناته.





أم حرام بنت ملحان

-رضي الله عنها-

شهيـــدة البحـــر

١٢- أم حرام بنت ملحان -رضي الله عنها-

الصحابية الأنصارية..

أخت أم سليم بنت ملحان أم أنس بن مالك أخويها حرام وسليم شهدا بدرًا الكبرى وأحدًا وقتلا شهيدين يوم بئر معونة غدرًا.

وابنها قيس بن عمرو بن قيس شهد بدرًا الكبرى واستشهد يوم أحد.

وزوجها الأول عمرو بن قيس شهد بدرًا الكبرى ونال الشهادة يوم أحد مع ابنه قيس.

وزوجها الثانى.. الصحابى عبادة بن الصامت أحد النقباء الاثنى عشر. وشهد الغزوات كلها مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم-.

وابنها عبد الله بن عمرو بن قيس صحابى صلى إلى القبلتين وروى عن النبى -صلى الله عليه وسلم-.

إنها أم حرام بنت ملحان بن خالد الأنصارى من بنى النجار.

مع زوجها الأول:

أسلمت قديمًا قبل هجرة الرسول -صلى الله عليه وسلم- إلى المدينة المنورة، أسلمت وبايعت، تزوجت من عمرو بن قيس وعاشت معه مؤمنة صابرة تجاهد فى سبيل الدعوة الإسلامية، واشترك زوجها وابنها قيس فى أول الغزوات، بدر الكبرى وقاتلا قتال الأبطال وأصبحا من البدريين الذين -رضي الله عنهم- وغفر لهم.

وفى غزوة أحد خرج الزوج والابن أيضًا مجاهدين فى سبيل الله، ودافعا عن راية الإسلام، حتى نالا الشهادة ورزقوا بها -رضي الله عنهما-.

وكان النبى -صلى الله عليه وسلم- يزورها كما كان يزور أختها أم سليم، فكانت

تسكن في قباء ذلك المكان الذي بني فيه رسول الله -ﷺ- أول مسجد في الإسلام ونزل فيه وأقام فترة عند أبي أيوب الأنصاري في بني النجار.

يقول أنس بن مالك -رضي الله عنه-: دخل علينا رسول الله -ﷺ- أنا وأمي وخالتي أم حرام فقال: «قوموا فلأصلي بكم» فصلى بنا في غير وقت الصلاة، ولما انتهت هذه الصلاة دعا لأهل البيت بكل خير من خيري الدنيا والآخرة.

طلبها الشهادة في سبيل الله:

كم تمنت أن ترزق الشهادة كما رزقها زوجها وابنها في غزوة أحد، وكما نالها أخويها يوم وقعة بئر معونة.. يقول أنس بن مالك حاكيًا عن أمنية خالته في الشهادة وكيف نالتها..

دخل رسول الله -ﷺ- على ابنة ملحان فاتكأ عندها ثم ضحك..

فقالت: لِمَ تضحك يا رسول الله؟

فقال: **«ناس من أمتي يركبون البحر الأخضر في سبيل الله مثلهم مثل الملوك على الأسرة»**.

فقالت: يا رسول الله، ادع الله أن يجعلني منهم.

فقال: **«اللهم اجعلها منهم»**.

ثم عاد فضحك، فقالت له: مثل أومم ذلك؟

فقال لها: **«مثل ذلك»**.

فقالت: ادع الله أن يجعلني منهم.

قال: **«أنت من الأولين ولست من الآخرين»**.

قال أنس: فتزوجت عبادة بن الصامت، فركبت البحر مع بنت قرظة

-زوجة معاوية بن أبي سفيان- فلما قفلت ركبت دابتها، فوقصت -أي رمتها الدابة- بها فسقطت عنها فماتت[1].

زواجها.. الثاني:

تزوجت بعد استشهاد زوجها عمرو بن قيس من عبادة بن الصامت الصحابي الجليل، فعاشت معه وقد شهد الغزوات مع رسول الله -ﷺ-، تسانده فكانت خير معين له على طاعة الله، فقد عرف عنها نقاء السريرة وصدق الإيمان والإخلاص في عبادة الله، وكانت تقوم على خدمة رسول الله -ﷺ- كلما زارها، وكانت تدعى الشهيدة، وشاركت في نصرة الإسلام في عهد رسول الله -ﷺ- وعهد الخلفاء الراشدين حتى نالت الشهادة ورضوان الله عليها.

تحقق البشارة لها بالشهادة:

وبعد انتقال الرسول -ﷺ-، وفي عهد الخليفة عثمان بن عفان -رضي الله عنه-، كانت أول غزوة للمسلمين في البحر، وكان أمير الجيش معاوية بن أبي سفيان فقد حدثت هي عن نفسها أنها سألت رسول الله -ﷺ- حين سمعته يقول: **«أول جيش من أمتي يغزون البحر قد أوجبوا»** فقالت أم حرام: يا رسول الله أنا فيهم؟

قال: **«أنت فيهم»**[2].

وخرجت أم ملحان مع زوجها عبادة بن الصامت في تلك الغزوة البحرية الأولى في البحر المتوسط، وتم فيها فتح جزيرة قبرص، ونالت أم ملحان الشهادة على أرض جزيرة قبرص حيث رمتها الدابة التي كانت عليها

(١) رواه البخاري في صحيحه كتاب الجهاد ومسلم في كتاب الإمارة وغيرهما.
(٢) رواه البخاري في صحيحه كتاب الجهاد وقوله أوجبوا: أي وجبت لهم الجنة وتلك بشارتها بالجنة.

بمجرد نزولها من السفينة فماتت ودفنت هناك سنة سبع وعشرين من الهجرة، ويسمى قبرها بـ «قبر المرأة الصالحة».

وهكذا تحققت النبوءة والبشرى النبوية لها بالاستشهاد في أول غزوة للمسلمين في البحر، ووجبت لها الجنة كما أخبرها بذلك رسول الله -ﷺ-. فهنيئًا لها ورضي الله عنها وأرضاها.





أم عمارة نسيبة بنت كعب -رضي الله عنها-

المجاهدة بطلة أحد واليمامة والمبايعة تحت الشجرة وبيعة العقبة.

١٣- نسيبة بنت كعب -رضي الله عنها-

ما زلنا مع بنى النجار أخوال النبى -ﷺ-.

وقدوتنا المجاهدة الأنصارية الخزرجية أم عمارة نسيبة بنت كعب بن عمرو بن عوف بن مبذول الأنصارية.

شهدت بيعة العقبة الكبرى. وكان أصحاب العقبة الثانية سبعون رجلاً وامرأتان.

أم عمارة والثانية أم منيع أسماء بنت عمرو بن عدى السلمية -رضي الله عنها-.

قال رسول الله -ﷺ- لأصحاب البيعة كما تروى كتب الحديث والسيرة: **«أبايعكم على أن تمنعونى مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم»**.

وبايع الأنصار رسول الله -ﷺ- على ذلك فتقول أم عمارة كما يروى ابن سعد فى طبقاته عنها:

شهدت عقد النبى -ﷺ- والبيعة له ليلة العقبة، وبايعت تلك الليلة مع القوم.

وشاركت أم عمارة فى نشر الدعوة فى المدينة المنورة، وشارك معها أبناؤها من زوجها الأول زيد بن عاصم المازنى من بنى النجار. عبد الله وحبيب.

وتزوجت بعد زوجها الأول من الصحابى نزيه بن عمرو المازنى من بنى النجار. وولدت له خولة.

جهادها فى الإسلام:

شهدت أم عمارة مواقع كثيرة مع رسول الله -ﷺ-، فكانت تخرج مع

غيرها من نساء المسلمين كي تسقى وتداوى الجرحى، فشهدت أحد والحديبية وخيبر والفتح وغزوة حنين وحرب اليمامة فى عهد أبى بكر الصديق.

ولم تكتف بدورها فى الصفوف الخلفية للجيش من معاونة الجرحى ومداواتهم، بل شاركت فى القتال أيضًا فكانت أول المقاتلات فى الجيش الإسلامى الأول.

ويشهد لها موقفها من الدفاع عن رسول الله -ﷺ- يوم أحد ما ترويه كتب السير والتاريخ ويحكى الإمام الذهبى فى سير أعلام النبلاء ذلك الموقف البطولى لها على لسانها فقالت: رأيتنى وانكشف الناس عن رسول الله -ﷺ- فما بقى إلا فى نفر ما يتمون عشرة، وأنا وابناى وزوجى بين يديه نَذُبُّ عنه، والناس يمرون به منهزمين، ورآنى ولا ترس معى، فرأى رجلاً موليًا ومعه ترس. فقال: **«الق ترسك إلى من يقاتل»** فألقاه فأخذته، فجعلت أترس به عن رسول الله -ﷺ-، وإنما فعل بنا الأفاعيل أصحاب الخيل، لو كانوا رجَّالة مثلنا أصبناهم إن شاء الله.

فيقبل رجل على فرس فيضربنى، وترست له، فلم يصنع شيئًا، وولَّى، فأضرب عرقوب فرسه، فوقع على ظهره، فجعل النبى -ﷺ- يصيح: **«يا ابن أم عمارة، أمك! أمك!»**. قالت: فعاوننى عليه حتى أوردته شعوب -أى قتلته- وجرحت أم عمارة يوم أحد جرحًا جعل الدم لا يرقأ، فقال النبى -ﷺ-: **«اعصبى جرحك»**.

ويقول ابنها عبد الله بن زيد بن عاصم: شهدت أحد، فلما تفرقوا عن رسول الله -ﷺ-، دنوت منه أنا وأمى، نذب عنه، فقال: ابن أم عمارة. قلت: نعم. قال: ارم. فرميت بين يديه رجلاً بحجر. وهو على فرس فأصبت الفرس. فاضطرب الفرس فوقع هو وصاحبه، وجعلت أعلوه بالحجارة والنبى يبتسم.

ونظر إلى جرح أمى على عاتقها فقال: **«أمك! أمك! اعصب جرحها: اللهم اجعلهم رفقائى فى الجنة»**(١).

قلت: ما أبالى ما أصابنى من الدنيا.

ولقى ابنها عبد الله رجلاً من المشركين، فضربه المشرك وجرحه جرحًا بليغًا فى يده فجعل الدم ينبعث منه بكثرة، فرآه رسول الله -ﷺ- فقال له: **«اعصب جرحك»**. ولمحت أم عمارة ابنها والدم يتدفق من جرحه، فأقبلت وأخرجت عصائب قد أعدتها للجراح وربطت جرحه، والنبى -ﷺ- ينظر إليهما ويقول: **«من يطيق ما تطيقين يا أم عمارة»**. وأقبل المشرك الذى ضرب ابنها فقال رسول الله -ﷺ-: **«هذا ضارب ابنك»**. قالت أم عمارة: فاعترضت له فضربت ساقه فبرك، فرأيت رسول الله -ﷺ- يبتسم حتى رأيت نواجذه، وقال: **«استقدت يا أم عمارة!»**، ثم أقبلنا نعله بالسلاح حتى أتينا على نفسه، فقال النبى -ﷺ-: **«الحمد لله الذى ظفرك»**(٢).

وقال -ﷺ- فيما رواه عنه عمر بن الخطاب:

«ما التفت يوم أحد يمينًا ولا شمالاً إلا أراها تقاتل دونى»(٣).

وهكذا قاتلت أم عمارة قتال الأبطال المغاوير الشجعان، وقتلت اثنين من المشركين رغم جرحها الذى أصابها به ابن قمينة وظلت تداويه قرابة العام.

وجرحت يوم أحد أم عمارة غير جرحها العميق أكثر من أحد عشر جرحًا.

وظلت تعالج جرحها الذى أصابها به ابن قمينة عامًا وقد ترك أثرًا على عاتقها له غور. فظل هذا الجرح شاهدًا على بطولتها وشجاعتها يوم أحد.

(١) طبقات ابن سعد.
(٢) طبقات ابن سعد وسير أعلام النبلاء بتصرف يسير.
(٣) المصدر السابق.

موقفها يوم الحديبية:

وشهدت أم عمارة يوم الحديبية. حين قصد المسلمون بقيادة رسولهم -ﷺ- مكة معتمرين وصدتهم قريش، وأرسل الرسول -ﷺ- عثمان بن عفان إلى قريش كي يخبرهم أنهم قاصدين البيت الحرام معتمرين لا مقاتلين، وأشيع في المسلمين أن عثمان بن عفان قتل، فأعلن النبي -ﷺ- البيعة على القتال حتى الموت، فقال لمن حوله (إن الله أمرني بالبيعة).

وأقبل الناس يبايعونه، وتجهز كل مسلم بما عنده من السلاح، وأخذت أم عمارة -رضي الله عنها- عمودًا وسكينًا وقالت: إذا دنا مني أحد رجوت قتله، وبايع الرسول -ﷺ- المسلمين على ألا يفروا ونالت أم عمارة شرف حضور البيعة ونالت رضوان الله لمن بايع تحت الشجرة.

وبعد أن تم الصلح بين المسلمين والمشركين من قريش في الحديبية، على أن يقوم المسلمون بأداء العمرة في العام التالي، قام الرسول -ﷺ- بالتحلل من الإحرام للعمرة للعودة إلى المدينة، فحلق شعره وذبح هديه، وتسابق المسلمون لأخذ شعره تبركًا به، وحصلت أم عمارة على بعض شعر الرسول -ﷺ-، وظلت تحتفظ به تبركًا.

وشهدت أم عمارة غزوة حنين، وقاتلت أيضًا كيوم أحد، وقتلت رجلًا من المشركين، وذلك حين انهزم المسلمون وتراجعوا فكانت أم عمارة كالأسد الغوار تحمل في يدها سيفًا تقاتل به وتدافع عن راية الإسلام ومعها من النسوة أم سليم بنت ملحان وأم سليط وأم الحارث، وظلت تقاتل حتى عاد المسلمون من فرارهم وكروا على عدوهم وانتصروا.

موقفها يوم اليمامة:

قبل انتقال الرسول -ﷺ- إلى الرفيق الأعلى، ادعى مسيلمة الكذاب النبوة، فأرسل إليه رسول الله -ﷺ-، حبيب بن زيد -رضي الله عنه- ابن أم عمارة رسولًا كي يرجع عن ضلاله وكذبه، ولكن مسيلمة مدعي النبوة الكذاب

أمسك بحبيب بن زيد وأوثقه وقال له أتشهد أن محمدًا رسول الله. قال حبيب: نعم.

فقال له مسيلمة: أتشهد أني رسول الله.

قال حبيب: لا أسمع.

وأخذ مسيلمة عليه لعنة الله يقطع من جسده عضوًا عضوًا ويعرض إليه أن يشهد أنه رسول الله ولكن الصحابي حبيب بن زيد لا يزيد عن قوله لا أسمع حتى نال الشهادة في سبيل الله.

وعلمت أم عمارة نبأ استشهاد ابنها على يد مسيلمة الكذاب فاحتسبت وصبرت، وعاهدت الله أن تقتل مسيلمة الكذاب مدعي النبوة.

وبعد وفاة رسول الله -ﷺ- يخرج جيش المسلمين بقيادة خالد بن الوليد لردع مسيلمة الكذاب باليمامة، وتأتي أم عمارة -رضي الله عنها- تستأذن أبا بكر الصديق خليفة المسلمين للخروج مع الجيش، ويأذن لها أبو بكر -رضي الله عنه- ويوصي بها قائد الجيش خالد بن الوليد.

وتدور رحى الحرب بأرض اليمامة ويشتد الأمر على المسلمين، حتى يأذن الله بالنصر وينهزم جيش مسيلمة ويهربون إلى داخل حصن لهم ومعهم زعيمهم الكذاب، وتقاتل أم عمارة -رضي الله عنها- كعهدها مع الجيش حتى جرحت أحد عشر جرحًا فما وهنت، ثم تقطع يدها فلم تجزع لذلك واستمرت تقاتل حتى رأت ابنها عبد الله بن زيد وهو يغمد سيفه في جسد الكذاب مع وحشي بحربته واشترك معهما في قتل مسيلمة الكذاب الصحابي أبو دجانة -رضي الله عنه-

وهكذا أبرت بنذرها وسجدت لله شاكرة على نعمه وعادت إلى المدينة بيد واحدة وقد تجاوزت يومها الستين من عمرها -رضي الله عنها-.

ولقد شوهد أبو بكر الصديق -رضي الله عنه- وهو الخليفة يزورها ويسأل عنها، وكذلك عمر بن الخطاب في فترة خلافته أيضًا.

وهكذا نالت السيدة الفاضلة أم عمارة تلك المكانة العالية والبشارة بالجنة فى أكثر من موضع، يوم أحد حين قال لها الرسول -ﷺ-: «**اللهم اجعلهم رفقائى فى الجنة**» واستبسالها يوم حنين مع المائة الصابرة التى بشرهم الله وتكفل بأرزاقهم فى الجنة، وشهودها بيعة الرضوان أيضًا وهم الذين أخبرهم الرسول -ﷺ- أنهم لا يدخلون النار «**لا يدخل النار أحد ممن بايع تحت الشجرة**»(١).

وقال تعالى عنهم: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾(٢).

-رضي الله عنها- وعن الصحابة والصحابيات أجمعين.

(١) رواه مسلم.
(٢) سورة الفتح: ١٨.

١٤

سمية بنت خياط

- رضي الله عنها -

أم عمار بن ياسر - رضي الله عنه -
أول شهيدة فى الإسلام
أول امرأة أظهرت إسلامها فى بداية الدعوة.
وسابعة سبعة آمنت برسول الله - ﷺ -

١٤- سمية بنت خياط -رضي الله عنها-

من الرعيل الأول الذين أسلموا وأعلنوا إسلامهم، فكانت سابع سبعة أعلنوا إسلامهم، قال ابن مسعود -رضي الله عنه-: أول من أظهر إسلامه سبعة، رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وأبو بكر وعمار، وأمه سمية، وصهيب، وبلال، والمقداد، فأما رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فمنعه الله بعمه، وأما أبو بكر فمنعه الله بقومه وأما سائرهم، فألبسهم المشركون أدراع الحديد وصفدوهم فى الشمس، وما فيهم أحد إلا وقد أتاهم على ما أرادوا إلا بلال، فإنه هانت عليه نفسه فى الله، وهان على قومه، فأعطوه الولدان يطوفون به فى شعاب مكة وهو يقول: أحد.. أحد[١]. وزوجها هو ياسر بن عامر بن كنانة بن قيس بن الوديم[٢]، أول شهيد فى الإسلام.

ابنها هو الصحابى الجليل.. عمار بن ياسر.

وقد جاء رب الأسرة ياسر -رضي الله عنه- مع أخواه الحارث ومالك من اليمن إلى مكة المكرمة بحثًا عن أخٍ لهم افتقدوه، ولما لم يجدوه فى مكة رجعوا إلى ديارهم باليمن إلا ياسر -رضي الله عنه- فقد أعجب بأم القرى مكة وطابت له العيش فيها، فحالف أبا حذيفة بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، وزوجه حليفه بسمية بنت خياط[٣] وكانت أمةً -أى مملوكة له- فولدت له عمارًا، فأعتقها أبو حذيفة.

(١) الذهبى فى سير أعلام النبلاء. وابن كثير فى البداية والنهاية.
(٢) ذكر الذهبى نسبه وأضاف فقال: بين قيس والوديم حصين بن ثعلبة بن عوف بن حارثة بن عامر الأكبر بن يام بن عنسى، وعنسى هو زيد بن مالك بن أود بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن قحطان، وبنو مالك بن أدد من مذحج.
(٣) ذكرها البعض فى كتبهم ومنهم الذهبى فى سير أعلام النبلاء سمية بنت خباط بالباء ولكن المشهور هو خياط بالياء.

ومنذ ظهور دعوة الإسلام وبزوغ نوره فى أرجاء مكة.

أسلمت الأسرة الياسرية كلها الأب ياسر والأم سمية والابن عمار.

ومنذ أن أظهرت الأسرة إسلامها وعلمت بذلك قريش أنزلت بهم سوء العذاب، فكانوا يخرجونهم إلى الصحراء فى حر مكة الشديد وقت الظهيرة، ويعذبوا كى يرتدوا عن دينهم، ولكنهم صبروا وتحملوا ما لا يطيقه بشرٌ وذلك فى سبيل الله جل وعلا.

ويمر عليهم رسول الله -ﷺ- وهم يعذبون فيقول لهم قولته المشهورة الخالدة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، والتى يحفظها كل مسلم عن ظهر قلب، وترتجف لها الأبدان حين تسمعها: **«صبرًا آل ياسر، فإنَّ موعدكم الجنة»**[1].

إنها لبشرى عظيمة، وجزاءً موفورًا ونبوءة ذات شأن عظيم من نبى عظيم -ﷺ-.

وأورد ابن سعد فى الطبقات خبرًا عن عمرو بن ميمون قال:

عذب المشركون عمارًا بالنار. فكان النبى -ﷺ- يمر به، فيمرر يده على رأسه، ويقول: **«يا نار كونى بردًا وسلامًا على عمار كما كنت على إبراهيم. تقتلك الفئة الباغية»**. واستمر عذاب بنى المغيرة بن عبد الله بن مخزوم لآل ياسر -رضي الله عنه-، وكان أبو جهل يشرف بنفسه على عذابهم حتى نال ياسر -رضي الله عنه- الشهادة وكان أول شهيد فى الإسلام.

---

(١) رواه الطبرانى وذكره الهيثمى فى المجمع ورجاله ثقات وذكره أيضًا الإمام الذهبى فى سير أعلام النبلاء عن عثمان بن عفان، وروى أحمد فى مسنده بسنده والحاكم من حديث جابر -رضي الله عنه- بمعناه وهو صحيح على شرط مسلم عن عثمان بن عفان -رضي الله عنه- قال لأصحابه: أما إنى سأحدثكم حديثًا عن عمار: أقبلت أنا والنبى -ﷺ- بالبطحاء حتى أتينا على عمار وأمه وابنه وهم يعذبون، فقال ياسر للنبى -ﷺ-: الدهر هكذا، فقال له النبى -ﷺ-: «اصبر» ثم قال: «اللهم اغفر لآل ياسر وقد فعلت».

وظلت سمية -رضي الله عنها- وابنها صابرين يتحملان العذاب، ويشتاقان لموعدهما فى الجنة مع رب الأسرة الذى سبقهما إليها.

ذكر ابن إسحاق فى سيرته أن أبا جهل لعنه الله كان يغرى بهم رجالاً من قريش، إن سمع برجل أسلم له شرف ومنعة، فقال له: تركت دين أبيك وهو خير منك، لنُسفِّهنَّ حلمك، ولنقلين رأيك، ولنضعن شرفك، وإن كان تاجرًا قال له: والله لنكسدن تجارتك ولنهلكن مالك وإن كان ضعيفًا ضربه واغرى به لعنه الله وقبحه[1].

أبو جهل يقتل سمية:

تحكى لنا كتب التاريخ والسير بأحرف من نور أن الشهيدة سمية -رضي الله عنها-، قد صمدت أمام جبروت وطغيان فرعون هذه الأمة أبى جهل بن هشام بعد أن تولى أمر تعذيبها بعد قتل زوجها عمار -رضي الله عنه- ونال الشهادة، فكان يغلظ لها القول الفاحش، ويحاول أن يثنيها عن دينها، فلم يفلح فى ذلك، حتى ضاق بها ذراعًا فضربها بالحربة. وهى تردد لا إله إلا الله محمد رسول الله.. أحد.. أحد..[2].

وهكذا نالت الشهادة ولحقت بزوجها الشهيد الأول فى جنات النعيم.

وبقى عمار الابن يعذب وحيدًا، وقد عمد الكفار إلى تعذيبه بالنار وهم يقولون له سب محمدًا، حتى فقد وعيه ولم يتركوه حتى نال من رسول الله -ﷺ- وذكر آلهتهم بخير، وتركوه، فلما أتى النبى -ﷺ- قال: **«ما وراءك»**. قال: شر يا رسول الله. والله ما تركت حتى نلت منك، وذكرت آلهتهم بخير. قال -ﷺ-: **«فكيف تجد قلبك!»**.

---

(١) نقلاً عن ابن كثير فى البداية والنهاية بتصرف يسير.

(٢) ذكر الذهبى فى سير أعلام النبلاء جـ٣ عن مجاهد قال: أول من أظهر إسلامه سبعة، فذكرهم وزاد فجاء أبو جهل يشتم سمية، وجعل يطعن بحربته فى قلبها حتى قتلها. فكانت أول شهيدة فى الإسلام. وذكر الخبر أيضًا عبد البر فى الاستيعاب. وكان استشهادها فى العام السابع قبل الهجرة سنة ٦١٥م.

قال عمار -رضي الله عنه-: مطمئن بالإيمان.

فقال له -صلى الله عليه وسلم-: «**فإن عادوا فعد**»(١).

وعن قتادة أن آية سورة النحل: ﴿**مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ**﴾(٢).

نزلت في شأن عمار بن ياسر -رضي الله عنه-.

وعاش الابن عمار بن ياسر مجاهدًا مصاحبًا لرسول الله -صلى الله عليه وسلم- في غزواته، وكان يناديه باسم أمه الشهيدة تكريمًا لها فيقول -صلى الله عليه وسلم- للمسلمين:

«**إذا اختلف الناس كان ابن سمية مع الحق**»(٣).

ويقول أيضًا: «**ما خُيِّر ابن سمية بين أمرين إلا اختار أيسرهما**»(٤).

ثم يبشره رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فيقول له:

«**ويحك يا ابن سمية تقتلك الفئة الباغية**»(٥).

ويدعوا له ولآل ياسر فيقول: «**صبرًا أبا اليقظان اللهم لا تعذب أحدًا من آل ياسر بالنار**»(٦).

ويقتل عمار في معركة صفين التي كانت بين علي بن أبي طالب

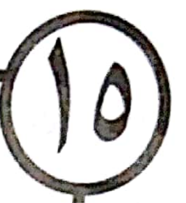
---

(١) طبقات ابن سعد. وأبو نعيم في حلية الأولياء والحاكم في التفسير وصححه وأقره الذهبي.
(٢) سورة النحل: ١٠٦.
(٣) سير أعلام النبلاء.
(٤) أخرجه أحمد في مسنده وذكره الذهبي في سير أعلام النبلاء.
(٥) أخرجه مسلم في صحيحه في الفتن وأحمد في مسنده وابن سعد في الطبقات والذهبي في التاريخ.
(٦) الاستيعاب لابن عبد البر وأبا اليقظان كنية عمار -رضي الله عنه-.

ومعاوية بن أبي سفيان عام ٣٧هـ وكان عمار بن ياسر -رضي الله عنه- يقاتل في جيش علي بن أبي طالب -رضي الله عنه-.

وتحققت نبوءة المصطفى -صلى الله عليه وسلم-.

وهكذا اجتمع شمل الأسرة الياسرية في جنات النعيم -رضي الله عنهم وأرضاهم-.



أم أيمن بركة بنت ثعلبة الحبشية

- رضي الله عنها -

حاضنة ومربية رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ومولاته وأمه بعد أمه.

١٥- بركة بنت ثعلبة الحبشية «أم أيمن» - رضي الله عنها -

إنها بركة أم أيمن، عاشت مراحل النبوة كلها من أولها إلى آخرها.

كانت عند ولادة رسول الله -ﷺ- جارية مملوكة لعبد الله بن عبد المطلب والد الرسول -ﷺ-، تركها ضمن التركة التى كانت خمسة من الإبل وقطيعًا من الغنم وسيفًا وفضة وأم أيمن بركة فكانت حاضنته.

تزوجها عبيد بن زيد الخزرجي قبل البعثة المحمدية وولدت له أيمن، وبعد البعثة أسلمت وفارقت زوجها لإصراره على الكفر ففرق الإسلام بينهما.

تزوجها بعد ذلك حب رسول الله -ﷺ- زيد بن حارثة وأنجبت له ابنه أسامة بن زيد.

وعاصرت أم أيمن مراحل نمو النبى -ﷺ- منذ ولادته ثم رضاعته فى بنى سعد، وقد عادت به أم أيمن إلى أمه آمنة لما بلغ الخامسة من عمره، وكانت معه حين أرادت آمنة زيارة بنى النجار أخوال جده عبد المطلب بالمدينة المنورة، وتوفيت السيدة آمنة فى «الأبواء» وهى قرية بين مكة والمدينة، فى طريق العودة، وعادت بركة -رضي الله عنها- بمحمد -ﷺ- إلى مكة المكرمة كى يكون فى رعاية جده عبد المطلب الذى شمله بالرعاية والحنان والعطف الأبوى.

وأصبحت بركة الحبشية حاضنة النبى -ﷺ- وأمه بعد أمه، وكان يناديها فيقول لها: «**يا أمّه**» ويقول عنها: «**أم أيمن أمى بعد أمى**»(١).

---

(١) النووى فى تهذيب الأسماء واللغات.

ولما نزلت الرسالة على رسول الله -ﷺ- من رب العالمين، كانت بركة ممن أسلمن من النساء، من أول يوم، وحين تزوج رسول الله -ﷺ- من السيدة خديجة بنت خويلد -رضي الله عنها- كانت معه أم أيمن وأكرمها فأعتقها وتزوجها عبيد بن زيد الخزرجي، وأنجبت له أيمن الذى به تكنى، ولكن الزواج لم يستمر بعد البعثة المحمدية وقد أسلمت أم أيمن -رضي الله عنها- وآمنت بالله ورسوله، فتركها زوجها الذى أصر على الكفر، وفرق بينهما الإسلام.

وكان زيد بن حارثة عبدًا لخديجة بنت خويلد وهبته لزوجها رسول الله -ﷺ-، فأعتقه وتبناه فترة من الزمن حتى أبطل الإسلام عادة التبنى، وأصبح زيد بن حارثة حب رسول الله -ﷺ-، وقال -ﷺ- لأصحابه: **«من سره أن يتزوج امرأة من أهل الجنة، فليتزوج أم أيمن»**[1].

فتزوجها زيد بن حارثة -رضي الله عنه-، وأنجبت له أسامة بن زيد.

وكان رسول الله -ﷺ- يمازحها كثيرًا، فتروى كتب السيرة أنها جاءته فقالت له: يا رسول الله أحملنى.

قال: **«أحملك على ولد الناقة»**. قالت: إنه لا يطيقنى. قال: **«لا أحملك إلا عليه»** يعنى يمازحها لأن الإبل كلها ولد النوق[2].

هجرتها إلى المدينة:

لما أذن رسول الله -ﷺ- فى الهجرة هاجر المسلمون إليها فرادى وجماعات، وهاجرت أم أيمن وكانت صائمة، فعطشت وليس معها ماء، وجهدها العطش، فدلى عليها دلوًا من السماء فيه ماء برشاء أبيض، فأخذته وشربت منه حتى رويت، فكانت تقول: ما أصابنى بعد ذلك عطش، ولقد

(١) ذكره ابن سعد فى طبقاته والذهبى فى سير أعلام النبلاء ورجاله ثقات.
(٢) أورده ابن سعد فى الطبقات، والذهبى فى سير أعلام النبلاء وهو خبر مرسل.

تعرضت للعطش بالصوم فى الهواجر فما عطشت بعد تلك الشربة، وإننى كنت لأصوم فى اليوم الحار فما أعطش[1].

جهادها فى سبيل الله:

شاركت أم أيمن -رضي الله عنها- رسول الله -ﷺ- فى مراحل جهاده لأعداء الإسلام، فكانت تخرج معه كمداوية الجراحى وساقية للمجاهدين.

فشاركت فى غزوة أحد وقد أصابها سهم من أحد المشركين وهو حبان ابن العرقة فوقعت على أثره وضحك المشرك عليها، وحزن الرسول -ﷺ- لذلك، ودفع إلى سعد بن أبى وقاص بسهم لا نصل له وقال له: **«ارم»** فأصاب السهم حبان بن العرقة فوقع على الأرض وبدت عورته، فضحك رسول الله -ﷺ- حتى بدت نواجذه وقال: **«استقاد لها سعد، أجاب الله دعوتك وسدد رميتك»**[2].

وشاركت فى غزوة خيبر مع نساء المسلمين، وفى غزوة مؤتة استشهد زوجها زيد بن حارثة أمير الجيش وصبرت أم أيمن واحتسبت ذلك عند ربها جل وعلا.

وخرجت يوم غزوة حنين مع ابنها أيمن وشاركت مع نساء المسلمين فى سقاية المجاهدين ومداواة الجرحى، ولما انهزم المسلمون أول الأمر ثبت النفر من المهاجرين والأنصار مع رسول الله -ﷺ- ومن بينهم ابنها أيمن -رضي الله عنه- الذى دافع عن راية الإسلام ونبى الإسلام فنال الشهادة، وانتصر المسلمون.

وفرحت أم أيمن باستشهاد ابنها واحتسبته كما احتسبت زوجها زيد بن حارثة -رضي الله عنه-.

وظل رسول الله -ﷺ- يظهر لها محبته وإكرامه لها طوال حياته حتى

(١) طبقات ابن سعد، والإصابة لابن حجر.
(٢) أنساب الأشراف.

توفى وهو راضٍ عنهـا، وحزنت عليه أم أيمن حـزنًا شديدًا، وكـان أبو بكر الصـديق وعمـر بن الخطاب -﵄- يفعـلان كمـا يفعل رسـول الله -ﷺ- معـهـا، فتذكـر كتب السيرة والحـديث أنه لما توفى رسول الله -ﷺ- قال أبو بكر -﵁- لعمـر -﵁- مُر بنا إلى أم أيمن نزورها كما كـان رسول الله -ﷺ- يزورها. فلما رأتهما بكت. فقالا لها: ما يبكيك؟

قالت: ما أبكى أنِّى لا أعلم أن رسول الله -ﷺ- قد صار إلى خير مما كان فيه، ولكنى أبكى لخبر السماء أنقطع عنا.

فأثارتهما على البكاء فجعلا يبكيان معها[1].

ودل ذلك على فـقهـهـا وعلمهـا، ولما لا وقد نهلت من النبع الـصافى للنبوة الخاتمة.

وظلت أم أيمن تحظى بمكانتـهـا التى كانت عند رسـول الله -ﷺ- فى عهـد خليفـته أبى بكر الصديـق -﵁- وفى خلافة أمـير المؤمنين عـمر بن الخطاب وعثمان بن عفان -﵄-.

وتوفيت فى عهد عثمان بن عفان[2].

-﵂ وأرضاها-.

---

(١) رواه مسلم فى صحيحه فضائل الصحابة.

(٢) ذكر الذهبى فى سير أعلام النبلاء عن الواقـدى أنها مـاتـت فى خلافـة عثمان بن عفان -﵁ وأرضاه-. وذكر ابن سعد فى طبقـاته أنها لما قتل عمر بكت أم أيمن وقالت وهي الإسلام.

خاتمـــــة

لعلنا قد وفقنا فى عرض سيرة أمهـاتنا الفضليات المبشرات برضوان الله ونعيـمه، المذكورات فى كـتاب ربنا عز وجل وأحـاديث رسول الله -ﷺ-، وهن بالطبع لسن كل المبشرات بالجنة، وإنما هن نموذج من نساء لا يعلمهن إلا الله عز وجل، ولعلنـا قد أدركنا لماذا نلن هذه البشـرى العظيمـة برضوان الله وجنته، وهذا هو الدرس المستفاد من تلك السيرة العطرة لهن.

فأيتها المرأة المسلمة فى زمـاننا هذا، زمن الفتن الزمن الأخير الباقى من عمر الدنيا الفانية، نقـدم لك هؤلاء الأمهات من نساء هذه الأمة ونساء الأمم السـابقة، فكلهن علـى وتيرة واحـدة وقلب واحد ورب واحـد، وإيمان بالله ورسله وكتبه وعمل صالح واتباع بإحسان، واقتداء بالأنبياء والصالحين، وصبر على طاعـة الله وجهاد فى سـبيله، فـمنهن من قدمت الابن الصـالح والنبى الصالح والرسول الأمين، وقدمن الزوج الشهيد والأخ الشهيد والابن الشهيد، وخـرجن يؤازرن ويساعـدن ويقـدمن الفداء مـن النفس والمال والولد، ورأينا منهن من قاتلت الأعداء بالسيف والسكين وعمود الخيمة، لا يرهبن عدوًا ولا يخـشين إلا الله عـز وجل، ورأينا منهن من وقـفت تدافع عن رسـول الله -ﷺ- حتى أثخنتها الجراح، وتحملت ما لا يتحمله الرجال، وقطعت يدها فى سبـيل الله وهى تقاتل الأعـداء وقد تجـاوزت الستين من عمـرها، ورأينا من قدمت أعز ما تملك نفسها فى سبيل الله فكانت أول شهيدة فى الإسلام.

إليك يا أختاه نقدم لك كل هؤلاء..

راجيًـا المولى عز وجل أن تفيـق نساؤنا من تلك الغـفوة التى طالت..

لأن المرأة إذا صلحت كانت خيرًا لأسرتها ودينهـا وقومها، ولذلك فإن أعداء الله نجحوا فى إفـساد المرأة المسلمة فأصبـحت ممسوخة ضالة، خرجت لتـفسد

المجتمع وانتشر الخبث فى المجتمع الإسـلامى، فماذا ننتظر؟! إذا انتشر الفساد والخبث إلا الهلاك وغضب الله عز وجل.

ونسأل الله سبحانه وتعالى فى ختام تلك الرحلة الشيقة مع سيرة هؤلاء النساء المبشرات بجنة الله ونـعيمه، أن يتقبل عملنا هذا خـالصًا لوجهه الكريم وأن يكون فى ميزان حـسناتنا يوم أن نلقاه غير نادمين ولا مخـزولين ومبدلين ولا مغيرين، وأن يصلح أحـوال المسلمين فى بقاع المعمورة، وصل اللهم على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

منصور عبد الحكيم محمد
المحامى

المؤلف في سطور

- منصور عبد الحكيم محمد عبد الجليل.
- حاصل على ليسانس الحقوق من جامعة عين شمس ١٩٧٨م.
- يعمل بالمحاماة والكتابة.

صدر له:

١ - طارد الجن.
٢ - مواجهة الجن.
٣ - موائد الشيطان.
٤ - الأعشاب والجن.
٥ - دعوة للزواج.
٦ - هل الشعراوى متطرفًا يا إبراهيم؟
٧ - نهاية العالم قريبًا
٨ - عرش إبليس ومثلث برمودا.
٩ - نهاية دولة إسرائيل عام ٢٠٢٢م.
١٠- الحرب العالمية الثالثة قادمة.
١١- نساء أهل البيت النبوى.
١٢- زوجات الرسول للأطفال.
١٣- هؤلاء شهداء الصحابة.
١٤- المهدى المنتظر آخر الخلفاء الراشدين.
١٥- معجزات الشفاء بالحجامة.
١٦- الموسوعة العلمية سؤال وجواب.
١٧- اختبر معلوماتك الإسلامية.
١٨- الموسوعة الثقافية ١٠٠٠ سؤال وجواب.
١٩- زوجات الأنبياء والرسل.

الفهرس العام

الموضـــــوع الصفحة

الموضـــوع — الصفحة

الموضـــوع — الصفحة

الموضـــــوع	الصفحة

اقــرأ فــى هــذا الكتــاب

السيـرة العطرة لنساء نلن شرف البشـارة برضوان الله وجنته ذكـرهن القرآن الكريم والسـنة النبوية، فى العـصور السالفـة وفى عصـر النبوة، إنهن القـدوة الطيبة لـنساء هذه الأمة الخاتمة نقدمها ونحن عـلى مشارف القرن القادم، وقد أخذت الأرض زخـرفهـا وتزينت وظن أهلها أنـهم قادرون عليهـا، لعل نساء هذه الأمـة يفقن من سباتهن العـميق، ويَعُدْنَ إلى درب أمهاتنا الفضليات اللاتى نلن البشارة بالجنة ورضـوان الله عـز وجل، والله الموفق والهـادى إلى سـواء السبيل.



أمام الباب الأخضر - سيدنا الحسين
ت ٥٩٠٤١٧٥ - ٥٩٢٢٤١٠



Scanned by CamScanner


النساء المبشرات
بالجنة
منصور عبد الحكيم
المكتبة التوفيقية